

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



مطبوعة دروس مقدّمة لاستكمال ملف التأهيل الجامعي
عنوان المطبوعة:

محاضرات في النقد الاجتماعي

موجهة لطلبة: السنة الثالثة، شعبة: دراسات نقدية، تخصص: نقد ومناهج

إعداد الدكتورة: حفيظة بن قانة

السنة الجامعية: 2019/2018

إضاءة:

يحتاج البحث في الدراسات الأدبية التي اتخذت من الاجتماعي منظورا لها، إلى تكافل لجهود كثيرة قصد التعمق في قضاياها وإشكالياتها، على غرار قضية المحاكاة، الانعكاس، الجدلية المادية... خاصة أن "النقد الاجتماعي" له من التراكمات المعرفية ما يمتد إلى الدراسات القديمة والحديثة وحتى ما يقفز به إلى المعاصرة، وقد تميزت كل مرحلة بأعلامها وأسسها النظرية ومبادئها الإجرائية.

من خلال هذا، حاولت تقديم جهد بسيط في سبيل تذليل مثل هذه المعوقات وغيرها، التي تحول دون فهم موضوع "النقد الاجتماعي" الكبير والمتشعب، ومهما بذلنا من جهد فإننا لا نبلغ مسعى الإحاطة به من جميع جوانبه مستوى الشمول والكمال، إذ هذا لا يمكن بلوغه إلا بالمزيد من العمل المتواصل.

ومن هنا، حاولت في هذه المطبوعة أن أعرض بعض المفاهيم والقواعد المتعلقة، بمقياس النقد الاجتماعي، مقدمة لطلبة السنة الثالثة فرع دراسات نقدية، تخصص نقد ومناهج لقسم اللغة والأدب العربي، بجامعة محمد البشير الإبراهيمي، ببرج بوعريريج، خلال الموسم الجامعي 2019/2018.

وتقسيم هذه الدراسة وموضوعاتها، كان وفق المفردات الرسمية للوزارة الوصية، حيث كانت في أربعة عشر محاضرة:

فتحاول المحاضرة الأولى، تناول الخلاف الذي خص مسار البحث في علاقة الأدب بالمجتمع وتطوره من منطلق نقدي إلى آخر.

أما المحاضرة الثانية فتسعى إلى تقديم وجهة نظر جون باتيست فيكو في العلاقة التناظرية بين الشكل الأدبي والمرحلة الحضارية.

والمحاضرة الثالثة توضح كيف أضافت مدام دي ستايل عنصر البيئة كعنصر ثالث لمسار البحث في علاقة الأدب بالمجتمع.

كما تناقش المحاضرة الرابعة جهود هيبوليت تين في تكوين ثلوثه المعروف: البيئة، الجنس، واللحظة التاريخية من خلال إضافة البعد الجديد وهو الجنس أو العرق.

وتتعلق المحاضرة الخامسة بالمنهج التاريخي عند غوستاف لانسون وكيف اتخذ من السياق التاريخي للعمل الأدبي وسيلة للوصول إلى فهم أوسع للظاهرة الأدبية.

وتركز المحاضرة السادسة على طبيعة مفهوم النقد عند جورج بليخانوف في ظل تأثيره بنظرية الانعكاس.

كما تتحدث المحاضرة السابعة وفي إطار تأثير نظرية الانعكاس كذلك على مفهوم النقد عند كل من ليون تروتسكي عبر كتابه الأدب والثورة و لينين.

وتتناول المحاضرة الثامنة مفهوم الواقعية الاشتراكية، انتشارها وجهود أهم أعلامها.

وتحاول المحاضرة التاسعة الإحاطة بطبيعة النقد الاجتماعي عند بلنسكي.

أيضا ستعرض المحاضرة العاشرة جهود ألتوسير في تطوير النقد الماركسي البنوي.

والمحاضرة الحادية عشر تصف المفاهيم التي كرسها أنتونيو غرامشي لعلاقة المثقف بالمجتمع ودوره في التغيير.

أما المحاضرات المتبقية فتسعى لتوضيح كيف تلقى الناقد العربي النقد الاجتماعي وذلك من خلال أهم أعلامه من النقاد العرب:

فالمحاضرة الثانية عشر كانت عن سلامة موسى

والمحاضرة الثالثة عشر تناولت حسين مروة

والمحاضرة الرابعة عشر كان ممثل النقد الاجتماعي فيها محمود أمين العالم.

واعتمدت في كل ذلك جملة من المراجع، نذكر من أهمها:

- "الأدبي والاجتماعي" - (قراءة في حقيقة العلاقة وسيرورتها) لـ عمر عيلان. و"طرق الدراسة السوسولوجية للأدب" لـ سميرة لخويل. و"النقد الاجتماعي" لـ بيار زيماء. وكتاب حسين خمري فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية). وغيرها من المراجع التي لا تقل أهمية.

مفردات "النقد الاجتماعي":

- 1- علاقة الأدب بالمجتمع
- 2- العلاقة التناظرية بين الأدب والبيئة (جون باتيست فيكو)
- 3- مدام دي ستايل (نصوص الأدب في علاقته بالمؤسسة الاجتماعية)
- 4- ثلاثية تين (البيئة. العرق/الجنس. العصر/اللحظة التاريخية)
- 5- المنهج التاريخي عند غوستاف لانسون
- 6- نظرية الانعكاس عند جورج بليخانوف
- 7- الأدب والثورة
- 8- الواقعية الاشتراكية
- 9- بلنسكي والممارسة النقدية
- 10- ألتوسير
- 11- أنتونيوغرامشي، المثقف والمجتمع
- 12- سلامة موسى
- 13- التنظير الواقعي مع حسين مروة
- 14- محمود أمين العالم

المحاضرة الأولى: علاقة الأدب بالمجتمع

يرجع التأثير المتبادل بين الأدب وفضائه الاجتماعي إلى القديم « وبعبارة أخرى منذ أن وجد الإنسان في جماعة لأن الأدب في هاته الأثناء لم يكن في جوهره إلا شكلا من أشكال ممارسة الحياة، فقد كان أداة من أدوات الإنسان في صراعه مع قوى الطبيعة المختلفة »¹.
والروابط المختلفة التي توطد العلاقة بين النص الأدبي ومجتمعه، توضح تمثيل الأدب الإبداعي القديم لحقيقة الحياة الاجتماعية، « ففي المجتمعات القديمة من الصعب التمييز بين الشعر والطقوس أو بين الشعر والسحر، أو بين الشعر والجنون، وقد كان دائما للأدب وظيفة يقوم بها أو موضوعات لا يعبر عنها غيره ولعل أغلب القضايا التي تناقشها الدراسات الأدبية هي مسائل اجتماعية مثل التقاليد والأعراف الأدبية وأجناس التعبير ومعايير الجمال الفنية والرموز والأساطير »².

ونظرا للصلة الوطيدة والمستمرة للغة الأدب ورسالته وحتى تشكيله الجمالي بالفضاء الفكري والحياتي الاجتماعي، تكونت وشائج قوية بين الأدب وعلم الاجتماع « إلى درجة تخصيص فرع من فروع علم

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي" (قراءة في حقيقة العلاقة وسيورتها). الملتقى الثاني، الجزائر: منشورات المركز الجامعي النقد السوسولوجي (الخطاب النقدي الأدبي المعاصر) خنشلة، 2007، ص: 11.

² - عبد الحميد ختالة. "سوسولوجيا الإبداع والتلقي للمأثور الشعبي". النقد السوسولوجي، م. م، ص: 433.

الاجتماع لدراسة الظاهرة الأدبية سمي علم اجتماع الأدب، الذي نشأت حوله أبحاث ودراسات وتعريفات على غاية من الأهمية»¹.

* علم اجتماع الأدب:

يرمي هذا العلم، إلى دراسة الظاهرة الأدبية كظاهرة اجتماعية، « فالمجتمع هو مصدر الأعمال الأدبية فالأدب ليس نتاج فردي بل هو من ضروب الإنتاج الجماعي فالعلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة تأثير وتأثر»² عبر وسائط يبيها الأديب والمجتمع لتفعيل هذا التبادل التأثيري بين النص والمتلقي، و« مصطلح "علم اجتماع الأدب" لم يستعمل بهذه الصيغة إلا سنة 1950 على يد "قي ميشو" في كتابه "مدخل إلى علم الأدب"»³.

وإذ كان لهذا شأن في الانطلاقة العملية لدراسة الظاهرة الأدبية، اعتمادا على العناصر المفهومية والإجرائية لعلم الاجتماع، مع ذلك « يمكن أن نعيد أبكر تصور نظري للعلاقة الكائنة بين الأدب والبيئة الاجتماعية إلى الفكرة التي طرحها "ابن خلدون" (1332-1406) حيث تعرض لإشكالية هذه العلاقة وخصص لها فصلا من كتابه المقدمة، بعنوان "بين مراتب السيف والقلم في الدول"»⁴.

وعليه، يكون ابن خلدون قد أدرك أهمية التلازم التبادلي بين الظواهر الأدبية والمؤثرات الاجتماعية، فهو. أي ابن خلدون . « حين

¹ - مصطفى البشير قط. "عناصر الدراسة في سوسيولوجيا الأدب عند روبرت اسكاربيت". النقد السوسيولوجي، م. م، ص: 466.

² - سميرة لخويل. "طرق الدراسة السوسيولوجية للأدب". النقد السوسيولوجي، م. م، ص: 415.

³ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 12.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 13.

حدد دور المثقفين ومجالات التقارب مع السلطة جعل الكتابة والأدب جزءا من المؤسسة الاجتماعية والسياسية الشاملة يزدهران بازدهارها وينطحان إلى مرتبة ثانية عندما ينتابهما الهرم أو لا تتكامل لها مقومات التبلور والرسوخ»¹.

*شكل العلاقة بين الأدب والمجتمع، تطور واختلاف:

لأنه لا الأدب ولا النظم التي تحكم المؤسسة الاجتماعية، ركن إلى الاستقرار على شكل تمظهري شامل ونهائي ثابت، ولأن مجالات التأثير المتبادل بين النص الأدبي ومحيطه الاجتماعي، انتقلت إلى الأفق الاشتغالي النقدي؛ كان لهذا الانتقال كبير الأثر في تماشي الأساليب الأدبية مع تطور الحياة من مرحلة إلى أخرى، حيث تلون شكل العلاقة النصية- الاجتماعية بلون كل مرحلة من مراحل الدراسة الأدبية.

فمنظرو الأدب وعلم الجمال أصحاب المذهب الاجتماعي التاريخي يذهبون « إلى ربط الأشكال الأدبية (الأجناس) بحركية المجتمع والحقب التاريخية ويعتبرون الشكل الأدبي شكلا تاريخيا اجتماعيا ... لأن لكل جنس أدبي ظروفه وملابسته التي ساعدت على ولادته وبلورته »².

أي، إن النص الأدبي يحيل بصورة مباشرة على مرجعه السوسيو- تاريخي الذي أنتج فيه، وفي مقابل هذه الوثائقية التاريخية في التفسير النص أدبي، تلغي البنية التاريخ من قاموسها التحليل- نصي لأنها «

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 13.

² - حسين خمري. فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية). ط1؛ الجزائر: منشورات الاختلاف، 2002، ص:

ترى أن العلاقة بين المتخيل والواقع غير موجودة وأنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين، هذه النظرية تقول بعزل الأدب عن تاريخيته لأن التركيز على تاريخية الأدب أو اجتماعيته هو إهدار لطاقتها الإبداعية¹ التي تكمن وفق هذه المنهج تحليل- نصي داخل بنية النص المغلقة التي لا تقبل التفسير إلا عبر دراسة داخلية ترفض كل أشكال الاعتماد على المرجع الخارجي.

و« إذا أخذنا قضية علاقة المتخيل [الأدب] بالواقع، من وجهة نظر اللسانيات، فإننا نقول أنها تمثل علاقة الدال بالمدلول ... علاقة الدال [النص] بالمدلول [الواقع الذي يتكلم عنه و/أو منه النص الأدبي] علاقة وجودية، إذ يستحيل وجود واحد دون الآخر²، حتى وإن كانت العلاقة التي تحكم هذا الدال (النص)، بمدلوله (الواقع) داخل العلامة اللسانية تأخذ سمة الاعتباطية.

وفي رؤية دراسية غير بعيدة، نلمح السيميائية ترى أنه « ليس النص هو الواقع وإنما النص هو المادة التي يبنى بها .. وهكذا تتجلى العلاقة بين النص والواقع من المنظور المنطقي- السيميائي علاقة موضوع بمحمول إذ يكون المتخيل هو الحامل للواقع والسند الذي من خلاله يتشكل هذا الواقع³».

وهذا، لأن منطلق هذا المنهج التحليل- نصي هو اعتبار الأدب ممارسة تواصلية فحتى وإن كانت اللغة الأدبية تجنح إلى التصوير الفني

¹ - حسين خمري. فضاء المتخيل. ص: 63.

² - المرجع نفسه، ص: 50 . 51.

³ - المرجع نفسه، ص: 44.

الذي يجعلها مغايرة في تشكيلتها عن لغة الواقع اليومي، مع ذلك تبقى علاقة اللغة مع واقعها قائمة، « إذن إن اللغة دون مرجعية واقعية تصير لغة تجريبية صورية كما أن الواقع دون الاعتماد على لغة التخاطب والتواصل يصير واقعا أخرس عاجزا عن التواصل ونقل معارف وتجارب»¹.

وإذا كان الاختلاف هو ما ميز شكل العلاقة بين النص الأدبي وواقعه من منهج لآخر؛ فإن الانطلاقة الفعلية للمنظور الاجتماعي-أدبي كان نتيجة إهمال الشكلانية الكامل في تحليلها النصي للبعد الاجتماعي، إذ ثار عليها الفكر الاجتماعي محاولا تفعيل العودة إلى العلاقة الحميمة بين الأدب ووسطه الاجتماعي. أي، أن المدرسة الشكلانية إذا كانت « قد ألغت كل علاقة يمكن أن توجد بين المتخيل والواقع، وانتهجت التحليل الداخلي للنصوص الأدبية، فإن المدرسة الاجتماعية قد اتخذت موقفا مضادا وذلك بتفضيلها الاجتماعي على حساب الأدبي»².

ولكن، مهما تعددت المنطلقات وتنوعت نظرة الدراسات إلى علاقة الأدب بالواقع « نلاحظ وجود خيط رفيع بين ملاحظات النقاد الكلاسيكيين حول الصلة بين الأدب والمجتمع أو بين الأديب وبيئته (نظرية المرأة) وبين النقد الماركسي وبين البنوية التكوينية وبين تيارات السياقيين في السيميائية وبين اتجاه السوسيوسرديات»³.

¹ - حسين خمري، فضاء المتخيل، ص : 46.

² - المرجع نفسه، ص: 64.

³ - فيصل الأحمر. "سلطة السياق" (سعيد يقطن بين جبرار جنيت وبيار زيماء). النقد السوسيوولوجي، م. م، ص: 282.

وهذا رغم سعي كل منهج إلى تجاوز مفاهيم وإجراءات المنهج الذي قبله، مع ذلك يكون كل اهتمام نقدي جديد بشكل العلاقة الواصلة بين الأدب ومجتمعه؛ إنما يرتبط بنشأة النظرية الاجتماعية الأدبية، والتي كانت قد تأثرت « بالتطورات التي حدثت في نظرية الأدب من جانب، وما حدث في مناهج علوم الاجتماع من جانب آخر، وتبلور في .. تيارين متوازيين ومتباعدين في الآن ذاته »¹، علم اجتماع الأدب والمدرسة الجدلية.

***نص تطبيقي: يقول عبد المنعم تليمة:**

« المبدأ العام في نشأة الأنواع الأدبية وتطورها وفناء بعضها في بعض، أو انقراضها يقوم أساساً على تطور المجتمعات، إذ لكل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي قيمها الجمالية التي تتجلى في أنواع أدبية بعينها، وفق قدرة وإبداع الإنسان في ذلك مع النظام الاجتماعي.

ويمثل العمل الأساس الذي يفسر كل تطور وتغير في الظواهر بما فيها الظاهرة الأدبية والفنية، أي إن الإبداع يتطور وفق تطور العمل ذاته وتحسن وسائله وأدواته »².

- وضح وفق النص قوة تجاذب أو تنافر العلاقة بين الأدب والمجتمع؟

¹ - صلاح فضل. مناهج النقد المعاصر. القاهرة: دار الآفاق العربية، 1996، ص: 47.

² - عبد المنعم تليمة. مقدمة في نظرية الأدب. ط2؛ بيروت: دار العودة، 1979، ص: 137.

المحاضرة الثانية:

العلاقة التناظرية بين الأدب والبيئة (جون باتيست فيكو)

لم يعد الأدب في رحاب النظرية الاجتماعية الأدبية، مجرد متعة آنية تشجع القارئ على الهروب من الواقع، إنما تجربة مفتوحة على الاجتماعي والإنساني والثقافي...، وغدت بذلك العلاقة الواصلة بينهما بحث في أغوار المعرفة، سواء المعرفة الأدبية أو المعرفة الاجتماعية، بما يحوي كل طرف من تضاريس تكوينية متنوعة، الأدب: بلغته وتقنياته الجمالية... والاجتماعي بمستوياته؛ وهو ما جعل شكل العلاقة يتسم بالإشكالية.

من ثم، ف « الاقتراب النظري لطرح إشكالية العلاقة بين البيئة الاجتماعية والفن بشكل عام والأدب بوجه خاص، يفترض جملة من المعطيات، حول طبيعة وخصوصية كل طرف، والتي لا تعدو سوى أن تكون سبيلا لتحديد مجالات التأثير المتبادل والإسهام في التغيير المرتبط بالذات الإنسانية المتفاعلة مع الوسط الطبيعي والبيئي، ونتيجة لقيم روحية وفكرية، وأنماط ثقافية تشير بالضرورة للتجانس المتميز بين الإنسان ومحيطه الاجتماعي العام»¹.

وتوزع الاهتمام بهذه العلاقة القائمة بين البيئة الاجتماعية والأدب، عبر عدة محطات متوالية ومختلفة، وكان "جان باتيست فيكو" من الذين أدلو بدلوهم في تقديم وجهة نظره حول هذه الإشكالية، حيث

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 11.

كان له نظرتة التي تقول بالعلاقة التناظرية بين الشكل الأدبي والمرحلة الحضارية.

*"جان باتيست فيكو" ودوره في تكريس النظرية الاجتماعية الأدبية:

جعل « محاولة التأسيس النظري لعلاقة المؤسسة الأدبية بالمؤسسات الاجتماعية في إطارها التاريخي المحدد .. "ابن خلدون" يحتل الصدارة والسبق لما ستعرفه الدراسات اللاحقة حول هذا الموضوع والتي تأخرت بنحو أربعة قرون لتظهر بشكل جديد بأوروبا وتحديدا في إيطاليا»¹.

إذ كان الجو النهضوي الأوروبي الذي أسقط مقولة الميتافيزيقيا، بعد أن احتلت العلمنة ساحة الفكر ووسمت الحداثة هيكله المجتمعات، له « صداه عند المفكر الايطالي "جان باتيست فيكو" (1668-1774) في كتابه "مبادئ العلم الجديد" (1725) حيث أشار إلى دور الإنسان في خلق عالمه الاجتماعي وعلاقاته ومؤسسته، ومن ثم فنونه الإبداعية»².

وكان هذا الطرح المقترح من طرف جان باتيست فيكو، وثبة أساسية لانطلاق النظرية الاجتماعية في تكريس وحدة مفاهيمها النظرية والفكرية، وتطوير آلياتها التحليلية وتبرز أهمية منظور جان باتيست فيكو في كون الرؤية التي طرحها، « تقول .. بالعلاقة التناظرية بين الأشكال الأدبية والمراحل الحضارية »³.

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 13 - 14.

² - المرجع نفسه، ص: 14.

³ - المرجع نفسه، ص: 15.

وذلك لأن الوعي الإنساني يتغير نحو التطور من فترة نحو الأخرى؛ ومن ثم يؤثر على البنى المؤسسة للبيئة الاجتماعية والتي ترتسم بدورها أشكالاً أدبية، و« كلما اعتبرنا الأعمال الأدبية تعبيراً عن الواقع الخارجي، كان ذلك مدخلاً لربطها بتفاعلات المجتمع أبنيته ونظمه وتحولاته، باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية والفنية»¹.

وإذا تتبعنا سيرورة التطور المرحلي الإنساني؛ يتضح جلياً أن كل مرحلة تتميز بـ « شكل أدبي يستجيب فنياً للنزعات والسلوكيات الجمالية التي تتبناها المجموعة الاجتماعية ... وبهذا يكون "فيكو" قد وضع الأسس المركزية لنظريته حول طريقة الإبداع، انطلاقاً من جعل العلاقة تناظرية بين المرحلة الحضارية بوصفها نمطاً تنظيمياً اجتماعياً وبين أشكال التعبير الأدبي ومضامينها المتوافقة بالضرورة مع هذه المرحلة»².

نظرة جان باتيست فيكو التي تقول بالعلاقة التناظرية بين الشكل الأدبي والمرحلة الحضارية، تتلاءم مع التوجهات السائدة بداية القرن الثامن عشر، حيث كانت المجتمعات الفلاحية قليلة العدد أميل إلى الحكاية التعليمية التقليدية المشبعة بالنصائح المتداولة مشافهة، بينما نشأت الدراما مع ظهور المدينة الدولة، الذي مكن من تجميع جمهور من المشاهدين، ومن ثم توافرت كل المدن الإغريقية على مسارح خاصة بها.

¹ - صلاح فضل. مناهج النقد المعاصر، ص: 45.

² - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 15-16.

ثم أدى تفتت العلاقات الاجتماعية في نهاية العصور الوسطى إلى ظهور القصص الشطارية (البيكارسك) التي تتلاءم كشكل أدبي مع المرحلة الحضارية المتميزة بغياب مطلق للحرية الفردية للإنسان، وهيمنة قيم مطلق السلطات الروحية والتشريعية والاجتماعية لآباء الكنيسة. بعدها تراجع الشكل الشعري الغنائي لتحل محله أشكال جديدة - على غرار الرواية-، حتى تكون أكثر استيعابا لقضايا الإنسان خلال المرحلة الحضارية الحديثة والمعاصرة، بكل تشابكاتها وتفاعلاتها الناتجة تعقد المجتمع الحديث، فعكس النص الشعري، يستطيع النص النثري إعادة صياغة عالم الناس وتجسيده بصدق وبلغة في متناول قطاعات واسعة من المجتمع¹.

*نص تطبيقي: حسب جان باتيست فيكو:

« الإنسان في المرحلة المشاعية، أقل تنظيماً ووعياً بواقعه منه في المرحلة الرعوية، التي لم تعرف مفهوم الملكية كما حدث في الحقبة الفلاحية، التي تعد البداية الفعلية لبناء الحضارة البشرية وظهور قيمة التراكم المعرفي، والخبرة والقيم المستقبلية، في التخطيط وحب التوسع والدفاع عن الأرض... مما أدى إلى بروز أشكال ومضامين أدبية وإبداعية مناسبة لهاته المرحلة الحضارية² ».

- استخرج من النص الأسس التي تقوم عليها نظرية جان باتيست فيكو، مبيّنا كيف كانت مرتكزا لعلم اجتماع الأدب؟

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 15-16.

² - المرجع نفسه، ص: 14.

المحاضرة الثالثة:

مدام دي ستايل (نصوص الأدب في علاقته بالمؤسسة الاجتماعية)

مواصلة في توضيح الإرهاصات الأولى للنظرية الاجتماعية في دراسة الأدب، وبعد إيطاليا التي مثلها جان باتيست فيكو، تتقدم مساهمة مدام دي ستايل التي « أدخلت إلى فرنسا .. المبدأ القائل بأن الأدب تعبير عن المجتمع »¹.

فالمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب، ينطلق « من النظرية التي ترى أن الأدب ظاهرة اجتماعية وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه وإنما ينتجه لمجتمعه منذ تفكيره في الكتابة وفي أثناء ممارسته لها وعقب انتهائه منها. فالقارئ حاضر في ذهن الأديب، وهو وسيلته وغايته في أن معا »².

وقبل التطرق لرؤية مدام دي ستايل في المنهج الاجتماعي في دراسة الأدب، سنحاول أن نعرض على الفرق بين مفهوم المنهج ومفهوم النظرية.

يشير المنهج معنى ودلالة ومفهوما، إلى الكيفية التي يجب علينا سوق العقل حسب خطوات معينة في الدرس والبحث حتى يتضح الغامض، وينفتح المغلق، ويتحول الشك إلى يقين، وتضمحل الصعاب التي تكتنف موضوع التباحث، من ثم فالمنهج مسار إجرائي يسلكه المرء

1- صالح هويدي. النقد الأدبي الحديث (قضاياها ومناهجها). ليبيا: منشورات جامعة السابع من أبريل، نسخة إلكترونية: www.kotobarabia.com، ص: 159.

2- المرجع نفسه، ص: 160.

بصفته طريقة للتحليل بعد وضع تصميم جيد للعمل؛ ويدل المنهج على مجموعة من الطرق العملية القصد منها بلوغ نتيجة مستهدفة في أي مجال من مجالات الفعل، والتفكير، والتأمل، والبحث عن الحقيقة¹.

ويحدد المنهج في الأدب والنقد، طريقة معينة ومحددة لقراءة النصوص، وهو الأداة التي تمكن صاحبها من طرق أبواب النص، وهو أساس نجاعة كل دراسة أدبية².

وكل منهج لابد له من نظرية تشكل الإطار الشامل، حيث تسفر هذه الأخيرة -أي النظرية- عن مجموعة من السبل التي ينبغي سلكها للبرهنة على تحقيقها بمقادير مختلفة، هذه السبل والإجراءات هي التي يتمثل فيها المنهج المصاحب للنظرية، وكل نظرية تعدل من المناهج السابقة لتتوافق مع مبادئها وأدواتها ومسلّماتها³.

فالمفهوم المعرفي المؤسس للأدب هو النظرية، والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافق هذه النظرية الأدبية مع مبادئها، ويمارس فاعليته، ويتم تداوله عبر جهاز اصطلاحي يحمل قنوات تصوراتهِ ويضمن كيفية انطباقها -قرباً أو بعداً- مع الواقع الاجتماعي⁴.

ولا تقتصر العلاقة بين النظريات الأدبية المختلفة على ارتباط كل نظرية بنموذج علمي تستمد منه مقولاتها ومصطلحاتها، وإنما يصبح لكل نظرية تجليات منهجية عديدة يجمعها أساس معرفي واحد، ويشترط فيها

¹ - محمد سويرتي. المنهج النقدي (مفهومه وأبعاده وقضاياها). المغرب: أفريقيا الشرق، 2015، ص: 7.

² - إبراهيم صدقة. "إشكالية التفاعل بين الأداة والموضوع". مجلة معارف، علمية فكرية محكمة تصدر عن المركز الجامعي البويرة، الجزائر، العدد 1 ماي، 2006، ص: 166.

³ - صلاح فضل. مناهج النقد المعاصر. ص: 11-12-13.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 12.

عدم التناقض بينها، بمعنى أن النظرية الأدبية الواحدة تسفر عن مناهج متعددة في التطبيق¹.

ويشكل الاجتماعي واحدا من عديد الحقول المعرفية المجاورة المؤثرة في المنهج النقدي.

***مساهمة "مدام دي ستايل" في النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب:**

وإثراء لعنصر العلاقة التناظرية بين المجتمع والأدب، الذي اعتمده جان باتيست فيكو آلية لربط جماليات النص الأدبي ومضامينه لكل عمل أدبي ومرحلته الحضارية، و« بعد مرور نحو قرن من ظهور كتاب "فيكو" قامت "مدام دي ستايل" (1817/1766) ... [بتقديم] كتاب صدر سنة 1800 بعنوان "الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية" ... قدمت له بقولها أنها سعت "لاختبار مدى تأثير الدين والعادات والتقاليد على الأدب ومدى تأثير الأدب على الدين والعادات والقوانين

«².

يعد كتاب مدام دي ستايل هذا؛ « أول محاولة ظهرت في فرنسا لوضع منهجية جديدة لتحديد علاقة الأدب بالمجتمع من منظور جديد، يقم عنصر الهوية الشخصية للمجتمع. فبعدها كان عنصر المرحلة الحضارية هو المحور الأساسي الذي تحدد في سياقه الأشكال الأدبية - عند فيكو - أصبح لخصوصية البيئة الاجتماعية دورها في خلق جماليات خاصة بكل مجتمع داخل نفس المرحلة الحضارية، وهو ما يمكن عده

¹ - صلاح فضل. مناهج النقد المعاصر. ص: 14.

² - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي". ص: 16.

تعميقا وإثراء لنظرية "فيكو" حول العلاقة التناظرية بين المجتمع والأدب
«¹.

هذه الإضافة تترجم النقلة التي أحدثتها رؤية مدام دي ستايل في النظرية الاجتماعية الأدبية، من الاعتماد على الفروق الذوقية الأدبية المنعكسة عبر المحيط الاجتماعي من مرحلة زمنية إلى أخرى، كما وضح ذلك كل من ابن خلدون وجان باتيست فيكو؛ أي أن لكل مرحلة خصوصية حضارية تختلف عن المراحل اللاحقة.

ومن ثم، تتقدم خصوصية الأدب وفق هذا المبدأ التغير-مرحلي، لتصبح المسألة انطلاقا من عامل الخصوصية الشخصية للمجتمع التي استحدثتها دراسات مدام دي ستايل، هي « التركيز على التباين في الذوق الأدبي والصياغة الأسلوبية الجمالية بين مجتمعين مختلفين داخل العصر الواحد والمرحلة الحضارية الواحدة »².

فلهوية المجتمع الفرنسي التخطيطية أثرها في بناء أدب خاص غير الأدب الانجليزي (مثلا) الذي يمثل طبيعة التشكيلة الخاصة بمجتمعه حتى في نفس المرحلة الزمنية التي تحكم بناء وتكوين كل من الأدبيين، الفكري والجمالي.

ومن خلال هذا التحليل الذي قدمته مدام دي ستايل، والذي « يثمن انعكاس الفروق الشخصية الاجتماعية في الأدب .. تكون "دوستال" قد أضافت عنصرا ثانيا لسابقتها هو عنصر البيئة الاجتماعية التي تحدد بصورة قاطعة حقيقة كل إنتاج أدبي سواء في مضامينه أو

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي". ص: 16.

² - المرجع نفسه، ص: 17.

أشكاله. [وهذا يوضح] الاهتمام الكبير الذي يحظى به عنصر البيئة الاجتماعية في تحديد الأشكال الأدبية ومضامينها عند "مادام دوستال" التي تكون بتركيزها على البيئة قد أضافت عنصرا ثانيا لمسار البحث في علاقة الأدب بالمجتمع»¹.

*نص تطبيقي:

« كان الأدب الفرنسي في الفترة التي كتبتها "دوستال" يركز بدرجة أساسية على عناصر الأسلوب الشكلي التي تمعن في اختيار الصياغات الأسلوبية الجميلة والرشيقة دون اهتمام كبير في الخوض في الأطروحات الفلسفية التجريدية، على عكس ما تميز به الأدب الألماني، الذي شغلته بصورة مركزية المضامين الفكرية التي تستجيب لميول الشخصية الألمانية المحبذة للقضايا الفلسفية وحركات العقل الإنساني وشطحاته»².

- يوضح النص المنهجية الجديدة التي قدمتها مادام دي ستايل لتحديد علاقة الأدب بالمجتمع، كيف ذلك؟

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي". ص: 17-18.

² - المرجع نفسه، ص: 17.

المحاضرة الرابعة:

ثلاثية تين (البيئة. العرق/الجنس. العصر/اللحظة التاريخية)

نتيجة لما مر بنا، تكون النظرية الاجتماعية الأدبية قد تفاعلت مع التحولات الحضارية للمجتمع، وسعت في كل ذلك إلى « إثبات اجتماعية الأدب وركزت على المجتمع واعتبرته الأساس الجوهرى للأدب وليس نتاجا فرديا خالصا، فانفصال الفرد عن المجتمع يعني الانعزال السلبي، أما الاتصال بالمجتمع فيعني الحياة ومتعها ... الآخرون هم النعيم «¹.

فكون الأدب ظاهرة اجتماعية تنطلق من الأرضية المجتمعية كخلفية تأسيسية لإنتاجه ثم يستدعي هذه الأرضية بعد اكتماله نصا أدبيا، لتقدم له جمهورا يقرؤه، فإنه أي الأديب أو مبدع هذا الأدب، يتميز « بالوعي الفني والاجتماعي أي القدرة على فهم التجارب فهما حقيقيا ونقلها إلى المتلقي نقلا حيا، فعبقرية الفنان الأديب المبدع تجعله عالما بطبائع البشر وخفاياها «².

وعليه، تسعى هذه النظرية الاجتماعية الأدبية إلى تجاوز الانفراد الإبداعي إلى إبراز أثر الوسط الاجتماعي بكل حيثياته وظروفه في تشكيل الإبداع الأدبي.

¹ - خالد عيقون. "اجتماعية النص الأدبي" (مقاربة سوسيو-نقدية). مجلة معارف، علمية فكرية محكمة

تصدر عن المركز الجامعي البويرة، الجزائر، العدد 1 ماي، 2006، ص: 336.

² - المرجع نفسه، ص: 338.

وذلك عن طريق « استخلاص أفكار المؤلفين والأدباء المتصلة بالمجتمع أو ربط الأدب ببناء المجتمع وهنا تبرز قضية طرق الدراسة السوسيولوجية للأدب؛ لأن علم اجتماع الأدب عموماً لا يمكن أن يؤدي وظائفه ويحقق أهدافه دون تكامل وحدة أطره النظرية والفكرية ودون تطوير أساليبه المنهجية»¹.

وبذلك، يصل علم اجتماع الأدب مفاهيمه النظرية بحركية الواقع الاجتماعي مشكلاً آليات ممارساتيه تُشغّل حقله الإجرائي في مفهومة النص الأدبي.

ولأن القضايا الدراسية التي تشغل اهتمام علم اجتماع الأدب ترتبط بفكر علم الاجتماع، « فإن محاولة علم الاجتماع فهم وتحليل النسق الأدبي وما يرتبط به من أنساق فرعية قد يستند أساساً إلى مستويات التحليل في علم الاجتماع العام المستخدمة في تحليل نظم المجتمع وظواهره»².

أي، أن محاولة إيجاد صيغة تربط بين الأدب والمجتمع جعلت علم الاجتماع يتعامل مع الأدب كظاهرة من ظواهره، وطبق عليه مناهجه وطرق التحليل الخاصة به، ولكن هذا كان يخدم علم الاجتماع أكثر من الأدب، ولذلك كان المهتمين بالأدب ممن كان لهم باع مهم في نظريات علم الاجتماع، بل حتى كانوا من رواده، طوروا مثل هذه الرؤى، حيث التقى علم الاجتماع والنقد الأدبي وتشكل ما يسمى بـ علم اجتماع الأدب أو النقد الاجتماعي، على غرار هيبوليت تين.

¹ - سميرة الخويل. "طرق الدراسة السوسيولوجية للأدب". ص: 415.

² - المرجع نفسه، ص: 416.

*الإضافة التي قدمتها نظرية "هيبوليت تين" في النظرية
الاجتماعية للأدب:

يمكن اعتبار التحليلات التي يشتمل عليها كتاب الناقد هيبوليت
تين "تاريخ الأدب الانجليزي (عام 1863)", أحد أبرز التطبيقات الممثلة
للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب وتحليله¹.

حيث، ومواصلة لمسار البحث في منهجة العلاقة الأدبية
الاجتماعية، وتعميقا لمفهوم الفروق الذوقية المنتجة للأدب، إن كان تأثرا
بالتعاقب لحضارات المجتمع أو تركيزا على دينامية الخصوصية
المجتمعية، لكل من جان باتيست فيكو ثم مدام دي ستايل، « سعى
"هيبوليت تان (1828-1893) لتطبيق منهجية العلوم الطبيعية على
الفنون والأدب بصورة جعلت الكثير يعده المؤسس الأول لعلم اجتماع
الأدب.

[وقد] .. أضاف إلى بعدي العصر والبيئة بعدا جديدا هو الجنس
أو العرق مكونا بذلك ثالوثه المعروف: البيئة الجنس واللحظة التاريخية.
ويرى "تين" أن غياب هذه العناصر الثلاثة من أية دراسة تجعل فهم
العمل الأدبي مستحيلا².

ويقدم إثر ذلك، هيبوليت تين هذه العناصر الثلاثة مكتملة لمفهومة
العمل الأدبي، الذي لا يرضى بتخلف واحد من هذه العناصر ثلاثتها
معا، والتي توضح توسع دائرة التأثير التفاعلي بين حركية البيئة في

1- صالح هويدي. النقد الأدبي الحديث (قضاياها ومناهجها). ص: 94.

2- عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي". ص: 18.

تطورها واكتسابها لبناء خاص يضيف التعدد البيئي، وبين إسقاط مختلف هذه الأبعاد الحضارية على روح الأدب الدينامية الفكرية والجمالية.

ويمكن تلخيص عناصر **هيبوليت تين** الثلاثة « في عنصر جوهرى واحد هو البيئة الفاعلة المتحركة المشروطة بالزمن من ناحية وبالطبيعة الذاتية للمبدع من ناحية أخرى »¹.

وإذا حاولنا تحليل العمل الأدبي وفهمه وكشف حقيقته، وفق عناصر **هيبوليت تين** الثلاثة؛ فإننا نجد أن **الجنس/العرق** تبدو آثاره كعنصر تحليلي من خلال تأثير كل أبعاده التي أوجزها في مفهومه له - أي للعرق - (سمات جسمية، نفسية، دوافع غريزية نزعات مكبوتة...) في مسألة التعبير الأدبي، هذا الأخير لا يمكنه الانفصال عن **البيئة الجغرافية الاجتماعية** -العنصر الثاني في نظرية **هيبوليت تين** - ويتعدى تأثير البيئة من التأثير المباشر في الذات المبدعة إلى صياغة العالم الذي يتخلق فيه العمل الأدبي ومن خلاله. وهنا تظهر الحاجة للإطلاع على الحركية والسيرورة التي تؤكد فاعليتها المباشرة على تعدد البيئات، والمتمثلة في البعد الزمني أو **العصر/اللحظة التاريخية** الذي يعيش فيه المبدع بأبعاده الإنسانية والحضارية وقضاياها السياسية والاجتماعية².

ومن ثم تكون نظرية **هيبوليت تين** قد سعت إلى الإحاطة بمختلف المؤثرات الفاعلة اجتماعيا في عملية الإبداع، وهو ما جعلها تتفاعل مع التحولات الاجتماعية في الواقع الأوربي، وتشكل تيارا قويا في النقد

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي". ص: 20.

² - المرجع نفسه، ص: 19.

الأدبي الذي حمل لواءه نقاد من أمثال سانت بوف وبرونوتير وتلميذه
غوستاف لانسون¹.

*نص تطبيقي: يقول هيبوليت تين:

« - العرق: هو مجموعة استعدادات سيكولوجية فطرية وراثية تضاف
بصفة عامة إلى ميزات تتأثر بالمزاج والبنية الجسمية.

- البيئة: هي مجموعة الظروف التي يخضع لها شعب، ولا يمكن
فصلها عن الزمان الذي هو فاعل مكتسب.

- اللحظة التاريخية: دفعة من الماضي إلى الحاضر، هي نقطة يصل
إليها فكر شعب في صيرورته².

- كيف يمكننا الوصول إلى حقيقة العمل الأدبي وفهمه عبر إدراج
هذه العناصر الثلاثة كمستويات دراسة وتحليل؟

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي". ص: 20.

² - المرجع نفسه، ص: 18.

المحاضرة الخامسة:

المنهج التاريخي عند غوستاف لانسون

جمع المنهج التاريخي بين التاريخ من جهة والنقد الأدبي من جهة أخرى، حيث قام بوصف مراحل الأدب وتطوره من خلال تتبع سيرورته التاريخية. ليشكل من خلال ذلك ما يصطلح عليه النقاد بـ تاريخ الأدب.

*طبيعة المنهج التاريخي عند غوستاف لانسون:

ترجع جذور المنهج التاريخي إلى ألمانيا، ويعتبر غوستاف لانسون أبرز مؤسسيه في فرنسا، حيث اقتدى بالأبحاث التي قدمها أسلافه من أمثال: هيبوليت تين، وسانت بوف وفرديناند بروننير، يقول غوستاف لانسون: « ليس المنهج الذي أحاول أن أعطي فكرة عنه من ابتكاري. وما هو إلا نتيجة لتفكيري في الخطة التي جرى عليها عدد من سابقي ومعاصري بل واللاحقين من الناشئين »¹.

وعليه فالمنهج التاريخي عند غوستاف لانسون يجعلنا نسعى كما يرى إلى أن: « نطبق على الآداب أساليب التاريخ العادية: تمييز الحقبات، وتحقيق نزعاتها، إظهار تسلسل الوقائع، وضع جدول لكل حقبة أو لكل لون أدبي في فترة معينة، جدول لا يتجاهل الصغار، كي نضع الكبار في سياق الكلام، ربط الوقائع الأدبية بحقائق التاريخ الأخرى. وباختصار تقديم الأدب في ديمومته واستمراره الحي، وجعلنا

¹ - غوستاف لانسون. منهج البحث في تاريخ الأدب. تر: محمد مندور، منشور ضمن كتابه "النقد المنهجي عند العرب". القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص: 395.

نشعر بمؤلفات الماضي القديم أو الحديث كأننا نعيش في زمن ظهورها، وإن كنا نفهمها أحسن فهم لأننا نعرف ما سيتبعها»¹.

وإدراك **غوستاف لانسون** لصعوبة مسعاه، جعله يرى بأن النتائج المتوصل إليها عبر دراساته لا تتسم بالمطلقية الدائمة، بل هي في حاجة دوماً إلى مراجعة، حيث يقول: «والشيء الأساسي هو أن لا أتخذ من نفسي محورا لمشاعري الخاصة، ذوقي أو معتقداتي، قيمة مطلقة. أراجع تأثرتي وأحد منها بدراسة أغراض المؤلف، وتحليل كتابه تحليلاً داخلياً موضوعياً وبالنظر في التأثيرات التي أحدثها الكتاب عند أكبر قدر من القراء»².

وميز **غوستاف لانسون** بين علم التاريخ العام والتاريخ الأدبي قائلاً: «ثمة فروق هامة بين المادة العادية للتاريخ بمعناه الدقيق، ومادتنا، وعن تلك الفروق تنشأ فروق في المنهج. موضوع التاريخ هو الماضي، ماض لم تبق منه إلا أمارات أو أنقاض بواسطتها يعاد بعثه، وموضوعنا نحن هو الماضي ولكنه باق، فالأدب من الماضي ومن الحاضر معاً. نحن في موقف مؤرخي الفن، مادتنا هي المؤلفات التي أمامنا، والتي تؤثر فينا كما كانت تؤثر في أول جمهور عرفها، وفي هذا ميزة لنا وخطر علينا، وهي بعد حالة خاصة يجب أن تلاحظها وسائل خاصة في منهجنا. نحن ندرس تاريخ النفس الإنسانية والحضارة القومية

¹ - كارلوني وفيللو. تطور النقد الأدبي في العصر الحديث. تر: جورج سعيد، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص: 78.

² - غوستاف لانسون. منهج البحث في تاريخ الأدب. تر: محمد مندور، ص: 403

في مظاهرها الأدبية، ونحن نحاول دائماً أن نصل إلى حركة الأفكار والحياة خلال الأسلوب»¹.

من ثم، فالمنهج التاريخي عنده وسيلة تتيح للقارئ إدراك مراحل الثقافة الإنسانية في أمة ما، فللوصول إلى فهم أوسع للظاهرة الأدبية لابد لنا من معرفة السياق التاريخي للعمل الأدبي.

إذا، يتلخص المبدأ الأساسي في منهج غوستاف لانسون في « معرفة النصوص الأدبية ومقارنتها بعضها ببعض لتمييز الفردي من الجماعي والأصيل من التقليدي، وجمعها في أنواع ومدارس وحركات، ثم تحديد العلاقة بين هذه المجموعات وبين الحياة العقلية والأخلاقية والاجتماعية في بلادنا وخارج بلادنا بالنسبة لنمو الآداب والحضارة الأوروبية»².

ويحذر غوستاف لانسون من الإغراق في توظيف النقد الأدبي لمناهج البحث في العلوم الطبيعية، وتناسي خصوصية النص الأدبي التي تختلف تماماً عن خصوصية الظواهر الطبيعية المختلفة، على غرار استخدام المعادلات العلمية والخطوط البيانية، الذي من شأنه مسخ التاريخ الأدبي وتشويهه.

مثل ما فعل هيبوليت تين وبرونتير حسب رأيه، حيث يقول: أنه أصبح من الواضح اليوم قصدهما إلى محاكاة عمليات العلوم الطبيعية، واستخدام معادلاتهما قد انتهى بهما إلى مسخ التاريخ الأدبي وتشويهه، فاستخدام العمليات العلمية في أعمالنا بعيد من أن يزيد من قيمتها

¹ - غوستاف لانسون. منهج البحث في تاريخ الأدب. تر: محمد مندور، ص: 20-21.

² - المرجع نفسه، ص: 23-24.

العلمية. هو على العكس ينقص منها، إذ أن تلك المعادلات ليست في الحقيقة إلا سرايا باطلا عندما تعبر في دقة حاسمة عن معارف غير دقيقة بطبيعتها، ومن ثم تفسدها. ثم إن الاستعاضة بالأرقام، والخطوط البيانية عن اللغة في تفسير الأعمال الأدبية، أمر ينطوي على كثير من الشطط والتعسف¹.

ويستدعي تحليل أي نص من النصوص، حسب رأي غوستاف لانسون، الإجابة عن مجموعة من الأسئلة:

1- هل نسبة النص صحيحة؟ أم النص منسوب لغير صاحبه أم منتحل بأكمله؟

2- هل النص نقي كامل خال من التشويه؟

3- ما هو تاريخ النص؟ (تاريخ التأليف والنشر والأجزاء).

4- ما هي التغييرات التي لحقت النص في طبعاته المختلفة؟ وما هي الدلالات التي تنطوي عليها تلك التغييرات؟

5- ما هي المراحل المتباينة التي قطعها النص منذ أول تسوية حتى مرحلة الطبع.

6- ما المعنى الحرفي للنص (على مستوى الرموز اللغوية والتراكيب)، ثم معاني الجمل بإيضاح العلاقات الغامضة والإشارات التاريخية أو الإشارات التي تتصل بحياة الكاتب نفسه.

¹ - غوستاف لانسون. منهج البحث في تاريخ الأدب. تر: محمد مندور، ص: 406.

7- ما المعنى الأدبي للنص بإبراز ما يشتمل عليه من قيم عقلية وعاطفية وفنية.

8- ما هي الملابس التاريخية والنفسية التي عبر عنها النص؟

9- أي نجاح لاقى المؤلف وأي تأثير كان له؟¹.

والروح التاريخية والمنهج النقدي، من أهم أدوات نشر السلام وتطوير النشاط العلمي عند غوستاف لانسون، لما لهذه الروح التاريخية، من إقرار للبعد الإنساني للعلم ومن ثم الرقي بالعقل البشري إلى الأفضل حضارياً، وفي هذا الصدد يقول: « إن الروح التاريخية والمنهج النقدي أدوات السلام »².

ويقول أيضاً: « ليس هناك علم قومي وإنما هناك علم إنساني، وكما أن العلم يحقق الوحدة العقلية في الإنسانية، فهو يحققها في الأمم المختلفة »³.

ورغم ما حقق هذا المنهج من إيجابيات، فلا بد من أن يكتنفه هفوات على غرار إهمال جمالية النص.

*الفرق بين المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي:

الملاحظ أن تركيز المنهج التاريخي على تاريخ الأدب، لم يمنعه من تجاوز التاريخية إلى اجتماعية الأدب. ذلك أن بين المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي تقارب، على غرار التركيز على العوامل الخارجية

¹ - غوستاف لانسون. منهج البحث في تاريخ الأدب. تر: محمد مندور، ص: 410.

² - المرجع نفسه، ص: 425.

³ - المرجع نفسه، ص: 426.

في تفسير وفهم النص الأدبي، ومن ثم تكريس العلاقة بين الأدب والواقع، وكذا الانطلاق من تطبيق منهجية العلوم الطبيعية على الفنون والأدب.

ويكمن الاختلاف بينهما في آلية التفسير والدراسة، فالمنهج التاريخي يعتمد على النقد التطوري والتعاقبي في تتبع علاقة الأدب بواقعه الماضي، بينما يعتمد المنهج الاجتماعي على النقد الوصفي الآني للعلاقة بين الأدب والواقع الآني.

*نص تطبيقي:

يرى **غوستاف لانسون** « مهمة النقد الأساسية تتمثل في معرفة النصوص الأدبية لتمييز الفردي فيها من الجماعي، والطريف من التقليدي، وجمعها بحسب الأجناس والتيارات، وتحديد العلاقة بين هذه المجموعات والحياة الفكرية والأخلاقية والاجتماعية، وبينها وبين تطور الأدب والحضارة »¹.

- حلل النص وناقشه، معتمدا على المقارنة مع جملة الأسئلة التي اعتبرها **غوستاف لانسون** السبيل لتحليل أي نص من النصوص، وهل تمثل فعلا السبيل الأمثل لتحليل النص الأدبي؟

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي". ص: 20.

المحاضرة السادسة:

نظرية الانعكاس عند جورج بليخانوف

يتضح فاعلية التأثير على مستوى علم الاجتماع والنقد الأدبي، الذي يستند على معطيات النظرية الاجتماعية في تفسيره للنص الأدبي، إذ ارتكز تحليله على بلورة المفاهيم الأساسية التي تستند إلى « حقيقة تقسيم الهوية المجتمعية إلى بنيتين هما البنية التحتية الممثلة لمختلف المكونات الاقتصادية وأساليب وصيغ تنظيمها والبنية الفوقية بما تنظمه من أفكار وتصورات ورؤى فلسفية وإبداعات »¹.

وإثر هذه الصيغة التفاعلية بين النقد الأدبي ومفاهيم علم الاجتماع العام، برزت رؤيا مقارباتية اهتمت بتحليل النص الأدبي سوسيولوجيا، تمثلت في "نظرية الانعكاس".

حيث، وفي ظل الوضع الذي ميزه الصراع الطبقي بين سيطرة الطبقة البرجوازية على الطبقة العاملة، « ظهرت الماركسية marxisme على يد "كارل ماركس" Karl Marx " و"فريدريك انجلز" Friedrich Engels " كردة فعل، تناهض الحياة التي أضحت عليها العامل وتسعى لتغييرها بموضوعية »².

وإثر هذا الانتقال لأفكار المحيط الواقعي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي إلى مجال الأدب، تأسست نمطية جديدة من الدراسات

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 20.

² - عبد الرحمان تيرماسين وأمال منصور. "رؤية العالم بين سلطة الماركسية وسحر النسق" (الغريب letranger "لألبير كامو" أنموذجا). النقد السوسيولوجي، م. م، ص: 260.

الأدبية، كانت فيها الظاهرة الأدبية تحتل ذات الاهتمام مع بقية الظواهر الاجتماعية الأخرى، فالأدب « ظاهرة من ظواهر الوعي الاجتماعي لدى الناس المرتبط بالظروف الاجتماعية والتاريخية والمتغير بتغيرها وهكذا فسّر الأدب في ظلها على أنه إحالة اجتماعية social referent»¹.

وعليه، يكون التحليل السوسولوجي للنص الأدبي، امتدادا لنظريات كارل ماركس وفريدريك انجلز التخطيطية للجانب الاقتصادي والسياسي، ومن ثم الوعي الاجتماعي والتي كانت تتبع أساسا من مفهوم الصراع الطبقي، الذي تتحكم فيه الطبقة الفوقية في الحركة الحياتية للطبقة العاملة.

وجعل كارل ماركس مع فريدريك انجلز هذه العلائق الجدلية التي غابت على تاريخ المجتمع، منطلقا تنظيريا لدراسة الأدب، فالأدب « شأن أنماط الحياة العقلية الأخرى خاضع للقوى الاقتصادية والإيديولوجية وليس لأي قيم فنية جوهرية أو مستقلة هذا بالإضافة إلى الهيمنة التي تفرضها الحركة الأفقية التصاعدية للتاريخ والتي بمقتضاها يتحرك تاريخ الفن من البدائي إلى المتطور إلى المعقد، كما في المسافة التي تفصل ملاحم اليونان ذات العقلية الأسطورية الخرافية عن أعمال شكسبير»².

ويبدو من خلال هذا، فاعلية البعد الاجتماعي بكل حيثياته في فكر كارل ماركس التحليلي للأدب، إذ تولى نظريته أهمية أولى وقصوى

¹ - عبد الرحمان تيرماسين وأمال منصور. "رؤية العالم بين سلطة الماركسية وسحر النسق" (الغريب letranger "لأببير كامو" أنموذجا). ص: 260.

² - رزيقة طاوواو. "المتأقفة النقدية العربية المعاصرة للنقد السوسولوجي الغربي". النقد السوسولوجي، م. م، ص: 399.

« في تفسير الأدب نشأة وماهية ووظيفة إلى الفلسفة الواقعية المادية التي ترى بأن الوجود الاجتماعي أسبق في الظهور من وجود الوعي، بل إن أشكال الوجود الاجتماعي هي التي تحدد أشكال الوعي، وقد استطاعت نظرية الانعكاس أن تقدم مفاهيم جديدة تماما عن نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته»¹.

والقول بتحكم الحياة المادية في تحقيق الوجود الوعيوي للإنسان .. يمثل الركيزة الأولى لنظرية ماركس؛ لأنه يلحق هذا بقول آخر يرى فيه أن « الفلاسفة فسروا الحياة بطرق مختلفة، ولكن المشكلة لا تتمثل في تفسير الحياة بل في كيفية تغييرها ... [إذ تؤكد الماركسية] أن ... من التعبير بالكلمة يمتلك نظرة مستقبلية تلمح إلى تطورات المستقبل في ضوء الحاضر وتقدم مغزى للإمكانات المثالية للتطور الاجتماعي من وجهة نظر الطبقة العاملة السائدة في المجتمع»².

يعني هذا، أن التغيير في البنى الاجتماعية يتأسس على تفعيل من الطبقة العاملة ويساهم النص الإبداعي كقاعدة دينامية للتفاعل المتبادل بين الإنسان ومؤسساته الاجتماعية، لينقل هذه الجدلية الايجابية من التأثير والتأثر إلى واقع الحياة اليومي ليحثه على تشكيلات تطويرية متغيرة عن رهنه، فالنص الأدبي يتخذ من الواقع منطلقا وموضوعا تعبيرا، ثم هدفا يسعى إلى المساهمة في تشييده بناءات متطورة.

*** مفهوم النقد في ظل نظرية الانعكاس عند جورج بليخانوف:**

¹ - رزيقة طاوواو. "المناقفة النقدية العربية المعاصرة للنقد السوسيولوجي الغربي"، ص: 401.

² - نبيلة إبراهيم. فن القص في النظرية والتطبيق (سلسلة الدراسات النقدية(1)). دار قباء للنشر، ص: 10.

ربط جورج بليخانوف بين النقد الجمالي والنقد السوسيولوجي واعتبرهما عنصرين ضروريين متلازمين ومتكاملين، لأي عملية تهدف تقييم الإبداعات الفنية والأدبية. محاولاً تأسيس مفهوم نقدي يرتبط بالمادية الجدلية مستبعداً كل تصور مثالي، يجعل العمل الأدبي مجرد نزوع فردي، لا يتصل بالبيئة والشروط الاجتماعية الطبقية التي تنتجها¹.

وجعل مهمة النقد الأدبي هي إدراك عناصر الوعي الاجتماعي والطبقي، حيث يقول: « إن كل إيديولوجيا بما فيها الفن، وما يسمى بالأدب الجميلة، إنما تعبر عن الميول والأحوال النفسية لمجتمع بعينه، وإذا كان هذا المجتمع منقسم لطبقات فطبقة بعينها، واضح أن الناقد الأدبي الذي يحاول تحليل أثر ما، ملزم قبل كل شيء، أن يدرك العنصر المعبر عنه في هذا الأثر من عناصر الوعي الاجتماعي أو الطبقي² ».

نلاحظ، أنه رغم سعي جورج بليخانوف إلى تأسيس نقده على المزوجة بين الجمالي والسوسيولوجي، إلا أنه جعل السوسيولوجي من أوليات هذا النقد، ليأتي الجمالي كنتمة ضرورية للبحث النقدي الإيديولوجي³.

لعل هذا ما أدى، إلى أن يطغى على جل أعماله النقدية التقييم السوسيولوجي، المتصل بحكم إيديولوجي واضح. قد يبلغ في بعض الأحيان درجة من التشدد السياسي القريب من النظرة الحزبية الضيقة.

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 23.

² - جورج بليخانوف. الفن والتصور المادي للتاريخ. تر: جورج طرابيشي، ط1؛ بيروت: دار الطليعة، ص: 59.

³ - المرجع نفسه، ص: 53.

فلا يتعدى النقد الأدبي عنده الحكم الإيديولوجي على الأعمال الأدبية الروائية، التي هي بالنسبة له نصوصاً إيديولوجية بالضرورة¹.

ولأن الأدب عند **جورج بلخانوف** نص إيديولوجي يعكس رؤية واحدة، هي رؤية كاتبه وموقفه، فالنقد الأدبي بدوره موجه للبحث عن القيم الإيديولوجية بالدرجة الأولى أكثر من أي عنصر آخر².

عارض **جورج بلخانوف** بذلك نقد **لينين** لـ **الروائي ليون تولستوي** الذي تعكس فيه الرواية صورة المجتمع، في مرحلة من مراحل تطوره، دون تطابق الإيديولوجية السائدة فيها مع إيديولوجية الكاتب³.

***نص تطبيقي:** يقول **جورج بلخانوف** في دراسة له بعنوان "تولستوي والطبيعة": « إن الكونت تولستوي لم يكن فقط ولفترة طويلة ابناً للاستقرائية عندنا، بل وكان إيديولوجي هذه الأرستقراطية لفترة طويلة ... وإذا كان بعض إيديولوجي الطبقة الواعية يعتبرون تولستوي، معلم الحياة، فإنهم يضلون كثيراً جداً: يستحيل على البروليتارية أن تتعلم الحياة على الكونت تولستوي »⁴.

- كيف تظهر طبيعة نقد **جورج بلخانوف** من خلال النص؟

¹ - عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 24-25.

² - المرجع نفسه، ص: 25.

³ - المرجع نفسه، ص: 25.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 25.

المحاضرة السابعة:

الأدب والثورة

بناء على الارتباط التنظيري والممارسي للأدب وتحليله بالواقع الاجتماعي، يمكن القول بأن أصول النظرية الاجتماعية في عمومها « في فهم الأدب، تعود إلى الفكر اليوناني.. القديم وبخاصة إلى مفهومي المحاكاة "mimesis" ومشابهة الحقيقة "eikos" اللذين تركهما أرسطو والذين كان لهما تأثير -وربما لا يزال- على الطروحات التي قدمها ويقدمها الباحثون والمنظورون في نظرية الأدب والفن، وفي محاولة تأسيس علم اجتماع لها»¹.

لأن رؤيا الأدب ونقده -حسب نظرية الانعكاس- تتولد من داخل التصورات الرؤياوية المجتمعية، إذ « يجب أن يلتصق الأدب بالواقع التصاقاً يومياً وشعبياً، بحيث لا يتحدث الأديب إلا عن واقع عاشه أو واقع كان يريد أن يعيشه على الأقل أو تجربة خاضها أو تمثل بوعي فني عميق تجربة من خاضها»².

وعليه، يكون الأدب وتكويناته الإنتاجية والمضمونية، تمثيلاً امتدادياً لآثار المجتمع من ثم يكتسب الشرعية الأدبية والمجتمعية التي تخولها له نظرية الانعكاس عبر تمثيله لمظاهر واقعه التاريخية والاجتماعية.. فكل « عمل إبداعي يعكس.. بعض المظاهر في طور

¹ - محمد خرماش. "النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب" (مفاهيم وإجراءات). النقد السوسيوولوجي، م. م، ص: 67.

² - عبد الملك مرتاض. في نظرية النقد. ص: 111.

تاريخي أو في الطور التاريخي العام الذي يعاصره يعد من الشرعية
بمكان إن العمل الإبداعي الهام صاحب الشأن الكبير يمد أواخيه في
أعماق ضمير العصر الذي ينشأ فيه»¹.

ذلك أن العمل الأدبي في طبيعته، يستند في أصل وضعه وأسس
تكوينه لا إلى اللاشيء؛ بل إلى خلفية تأثيرية تساهم في تشكيل مقوماته
التخييلية، والماركسية في انطلاقها من اعتبار العالم الاجتماعي أرضية
لهذه الخلفية، تتناول المجتمع موضوعا لها « في نشأته ومقوماته
وتراكيبه وعوامل التغير فيه ومراحل تطوره ومصيره، من رؤية جديدة
ترجع منشأ المجتمع إلى "العمل الاجتماعي" الذي استلزمته الحياة
الاجتماعية»².

والكاتب (المبدع أو الناقد) في سعيه إلى مواكبة المجتمع في
تكوينه وحركة تغيره وامتداده إلى التاريخ العام والحياة الاقتصادية، وكل
ما يستلزم الوجود الإنساني الذي يخضع لأحكام الحياة الاجتماعية، كان
« قد أعد نفسه عن طريقه بالعلم والمعرفة والمهارة فتهيأت له بها القدرة
على استكشاف أسرار الطبيعة وتسخيرها لخدمته»³.

هذه القدرة على الفهم والإدراك، إن كانت توضح في جانب منها
فاعلية الوعي الأدبي في توظيف الظاهرة الاجتماعية كقاعدة لتشكيل قوة
داخل الظاهرة الأدبية، من شأنها أن تحدث التأثير المتميز في تكوينات
القاعدة ذاتها، فإنها توحى أيضا بلا ثبات طبيعة هذا الفهم الإدراكي؛ إذ

¹ - عبد الملك مرتاض. في نظرية النقد. ص: 107.

² - العيد جلولي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسيولوجي العربي الحديث". النقد السوسيولوجي، م. م، ص:
207.

³ - المرجع نفسه، ص: 208.

يتغير وفق التحولات التي تطرأ على الوجود الاجتماعي المادي، خاصة وأن « القضية الأساسية في الماركسية .. هي أن الأصل في المجتمع هو الواقع المادي وامتداداته التاريخية وعوامل التغيير فيه »¹.

بما أن الواقع التخيلي الذي بناه الأديب في نصه الإبداعي؛ إنما هو ترجمة لفكر مرحلة ما بكل أشكالها التنظيمية ونظرياتها السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية والدينية، أي انعكاسات التصورات القانونية التي تحدد بنية تاريخية عن تطورها اللاحق..

فانطلاقاً من منظور التلازم الجدلي بين البنية الاجتماعية وبنية النص الأدبي ونقده فإن فاعلية التغيير التطوري الحاصل في النص الأدبي، إنما مرده إلى تطور النقد السوسيولوجي الذي اكتسبه بدوره من دينامية التطور لعلم الاجتماع العام، وهذا الأخير يكتسب ازدهاره من مدرسة الحياة التي يحكمها اللا استقرار خاصة بين طبقتها التحتية والفوقية.

وهذا التبادل الفكر الجدلي بين الأدب والمحيط السوسيو- تاريخي- اقتصادي، الذي انتهى إلى تشكيل مرتكزات نظرية الانعكاس، وخاصة مفهومها لمقولة الانعكاس لأنها -أي نظرية الانعكاس- « تفسر دينامية التاريخ بجدلية الفكر والمادة واعتبر الأول ومنه الأدب انعكاساً للثانية ومنها الوجود الاجتماعي »².

وهذا الوجود الاجتماعي الذي يتأسس على صراع الإيدولوجيات الذي لا يمكن أن يشمل تشكيل رؤيوي واحد، وكون « المجتمع لا يشتمل

¹ - العيد جولي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسيولوجي العربي الحديث". ص: 209.

² - محمد خرماش، "النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب"، ص: 68.

على تصور واحد فإن النص.. [الأدبي] مطالب بتجسيد التناقضات والاختلافات الإيديولوجية التي قد لا تتفق بالضرورة مع مضمونه النهائي .. فالنص.. هو مرآة لا تعكس كل الواقع بل أجزاء منه، وموقف الكاتب .. ليس بالضرورة معبرا عنه بشكل مباشر»¹.

وضمن رؤية نظرية الانعكاس تشكلت أنواع مختلفة لمقاربة الأعمال الأدبية، على غرار جورج بليخانوف وليون تروتسكي ولينين سنحاول التطرق إلى ليون تروتسكي ولينين.

*الأدب والثورة لـ ليون تروتسكي:

كتب ليون تروتسكي "الأدب والثورة" في عامي 1922 و 1923 تناول فيه بالتحليل روائيين وشعراء..، كان من بينهم الروائي الروسي ليون تولستوي حيث تميزت كتابات ليون تروتسكي عن نصوص ليون تولستوي بالنقد الإيديولوجي الصريح، الذي يجعل النصوص الأدبية بمثابة وثائق سياسية، تعبر عن آراء الكاتب السياسية الصريحة، فيركز نقده على شخصية الكاتب وانتمائه الطبقي، فيصفه بأنه أرستقراطي وعدو للحياة الجديدة ورجل المرحلة المندثرة، وأنه صخرة مغطاة بالزبد².

على هذا الأساس، يكون نقد ليون تروتسكي السوسيولوجي الممثل في هذا النموذج، سانجا في أحكامه، ضيق الأفق؛ لانزوائه في حدود الحكم الإيديولوجي الصرف، الذي لا يحاول البحث في القيم الفكرية الشكلية، ويقصر في بحثه على سوسيولوجيا المضامين³.

1- عمر عيلان، "الأدبي والاجتماعي"، ص: 26.

2- المرجع نفسه، ص: 23.

3- عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي"، ص: 23.

* مفهوم النقد عند لينين:

لعل استناد نظرية كارل ماركس إلى « الفلسفة الواقعية المادية، قد جعل منهجها مختلفا تماما فلم تعتمد على الوصف والتأمل بل اعتمدت على وضع الفروض والاستقراء ودراسة تاريخ الفنون العالمية وحاولت أن تعلل وتفسر الظاهرة الأدبية باعتبارها جزءا من الظاهرة الثقافية عامة مع الاهتمام بخصوصيتها واستقلاليتها النسبية عن بقية أنساق المعرفة والعلوم الإنسانية»¹.

فأضحى الأدب وتحليله آلية مؤهلة لخلق الواقع المحيط وفق نظرية الانعكاس التي نظّر لها وفعلها إجرائيا كارل ماركس وفريدريك انجلز ومن تبعهما، وتعود في منطلقاتها إلى ما قبل ماركس وتعمقت بعده، حيث نجد أنه « قد أسهم ف.إ. لينين V.I. Lénine إلى حد ما، في بلورة تصور نظري حول علاقة الأدب والفن بالمجتمع، ودورهما في الصراع الفكري الإيديولوجي والاجتماعي»².

ولينين، في وصله بين النص الأدبي وأفكار طبقات المجتمع في ظل حركية التاريخ المجتمعي، يجعل غاية النقد « هي البحث عن الانعكاس الواقعي للمعطيات الخارجية في ثنايا النص.. [و] يقترح في هذا المجال، طرح مصطلحين هما: المرآة، والانعكاس الفعال.

¹ - رزيقة طاووا، "المناقفة النقدية العربية المعاصرة للنقد السوسولوجي الغربي"، ص: 401.

² - عمر عيلان، "الأدبي والاجتماعي"، ص: 21.

أما المصطلح الأول فإنه لا يعني أن النصوص الروائية هي فعلا وثائق تاريخية تماما بل تنعكس فيها بصورة انزياحية الأحداث التاريخية، وهذا الانزياح هو الذي توثقه العملية التي يتطلبها الانعكاس الفعال¹.

كانت قد شكلت المقالات الست، التي نشرها لينين حول روايات ليون تولستوي، المجال الأساسي الذي تبلورت فيه أفكاره النقدية. حيث ركزت هذه المقالات التي أعيد تجميعها في كتاب "عن الفن والأدب" في سياق تحليلها وتقييمها، على العناصر الإيديولوجية في البيئة الاجتماعية ومقابلتها بالإيديولوجيات التي تضمنتها روايات ليون تولستوي. فكانت غاية النقد من خلال ذلك هي البحث عن الانعكاس الواقعي، للمعطيات الخارجية في ثنايا النص، ومن هنا كان نقد لينين نقد سياسي إيديولوجي، يهدف إلى تحديد موقف الكاتب من الصراع الاجتماعي².

*نص تطبيقي: وفق منظور لينين « تصبح المواقف المتناقضة داخل روايات تولستوي ليست تعبيراً عن التناقض في إيديولوجية الكاتب، فحسب، بل هي تعبير عن الظروف المتناقضة التي واجهتها روسيا، من خلال المرحلة التي عايشتها، وهكذا يكون أدب "تولستوي" مرآة لحقبة تاريخية ممتدة من 1861 إلى 1905»³.

- وضح خصائص النقد عند لينين، وفيما تتميز عن نقد تروتسكي؟

1- عمر عيلان، "الأدبي والاجتماعي"، ص: 22.

2- المرجع نفسه، ص: 21-22-23..

3- المرجع نفسه، ص: 22.

المحاضرة الثامنة:

الواقعية الاشتراكية

ظهرت الواقعية في القرن التاسع عشر، لتتبلور إلى تيار أدبي معبر عن توجه إبداعي وحساسية فنية ورؤية إيديولوجية، حيث هيمنت على الأدب والفن، فبرزت في القصة والرواية والمسرحية والرسم، ودعا روادها إلى الموضوعية في الإبداع، وتبني دقة الملاحظة في تصوير العالم الخارجي وخلجات النفس الإنسانية، والثقة بالعلم في حل مشكلات الإنسانية، لكن جذورها ضاربة في القدم، حيث إن كل الحضارات الإنسانية السابقة كانت تعرف بدرجات متفاوتة بعض ملامح التعبير الواقعي¹.

ذلك أننا نجد ملامح الواقعية تظهر في إلياذة هوميروس وأوديسته، وكذا في شعر الجاهليين الذي عد سفيرهم الحامي والناقل لملامح عيشهم...

واجهت الواقعية، المثالية التي سيطرت على الآداب والفلسفة الأوروبية من عهد أفلاطون حتى القرن التاسع عشر، وترى المثالية أن حقيقة الواقع لا تتجلى إلا من خلال ذات الإنسان ووعيه الذي يضيف المعاني والدلالات على الحياة، بينما على العكس من ذلك تعتقد الواقعية أن الواقع هو الذي يتحكم في الأبنية المعرفية ويحدد أطر الوعي بالذات

¹ - بودريال الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". مجلة العلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 7 فيفري، 2005، نسخة الكترونية: www.webreview.dz، ص: 2.

والعالم على أنقاض مركزية الذات واللوغص، وتؤسس لمبدأ حتمية الواقع وتحكمه في الإنسان¹.

اشتركت الواقعية مع الرومانسية في ظروف النشأة، لكن إسراف الرومانسية في عالم العاطفة والأحلام، عرضها إلى الانتقاد والاندثار، لتخرج الواقعية من داخلها، فنمت ونضجت في ظل ما شهده القرن التاسع عشر من تقدم علمي وفلسفي، خاصة علوم البيولوجيا والوراثة، الذي أدى إلى تغيير الكثير من المفاهيم الفكرية والاجتماعية والفنية². كانت فرنسا وإنجلترا وروسيا سباقة إلى اكتشاف المنهج الواقعي في الإبداع، حيث ولدت الرواية في فرنسا واقعية على يد كبار الأدباء من أمثال: فولبير، بالزك، ستاندال، زولا...، واشتهر في إنجلترا بعض الروائيين الواقعيين مثل تشارلز ديكنز ووالنز سكوت، أما روسيا القيصرية، فباعها طويل في هذا المجال، إذ إن جذور الرواية الواقعية تعود إلى القرن الثامن عشر، واستطاع الروائيون الروس التجذر في الواقع الروسي والروح الروسية، ليبدعوا بعض روائعهم الأدبية العالمية الخالدة، حيث خلد تاريخ الأدب أسماء عباقرة سمووا بالإبداع إلى مرتبة لم يعرفه في السابق، نذكر منهم على سبيل المثال: غوغول، بوشكين، تشيكوف، ومن المتأخرين دوستيوفسكي وتولستوي كاتب رائعة "الحرب والسلام" التي تعد أشهر رواية في العالم³.

يعتبر الأديب والناقد الفرنسي شانفلوري Champ Fleury من أقر مصطلح الواقعية ونظر لها، حيث معه فقط وجدت اسمها ومذهبها

¹ - بودريالة الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". ص: 2-3.

² - ياسين الأيوبي. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات. دار العلم للملايين، ص: 312-313.

³ - بودريالة الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". ص: 3.

وتعود كتاباته الأولى إلى سنة 1843، ثم وضع في سنة 1852 مبادئه بطريقة أكثر إيجابية. وجعل من الملاحظة الدقيقة عمل الروائيين الأساس، وغدت الواقعية تهدف إلى أن تصبح التعبير عن التفاهة اليومية¹.

ويتفرع عن الواقعية واقعيات، على غرار النقدية والطبيعية والاشتراكية.

* الواقعية الاشتراكية:

اتضحت معالم الواقعية الاشتراكية في بداية القرن العشرين معتمدة على آراء كارل ماركس ولينين²، وهي تنظر في تعاملها مع المجتمع وقضاياها المتنوعة من المنظور الاشتراكي، وفيها يصف الأديب الحلول للمشاكل التي يواجهها المجتمع من خلال مبادئ الاشتراكية³.

يكمن جوهر الواقعية الاشتراكية في الإخلاص لحقيقة الحياة بصرف النظر عن مدى ما تكون عليه من جفاء، ويكون التعبير عنه في صور فنية من الزاوية الشيوعية، أما المبادئ الإيديولوجية والجمالية الأساسية لـ الواقعية الاشتراكية فتتمثل في: الوفاء للإيديولوجية الشعبية، وضع النشاط الإنساني في خدمة الشعب وروح الحزب، الارتباط العضوي بنضال الجماهير الكادحة، نزعة إنسانية اشتراكية وأممية، تقاؤل تاريخي، رفض الشكلانية والذاتية وكذلك الذاتية الطبيعية⁴.

¹ - فليب فان تيغيم. المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا. تر: فريد أنطونيوس، ط3؛ بيروت-باريس: منشورات عويدات، 1983، ص: 240-241.

² - العيد جلولي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسيولوجي العربي الحديث". ص: 211.

³ - صلاح فضل. منهج الواقعية في الإبداع الأدبي. القاهرة: مؤسسة مختار للنشر، 1992، ص: 94.

⁴ - بودريال الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". ص: 10.

قُدمت للواقعية الاشتراكية تسميات عديدة، ليستقر الرأي على التسمية التي اقترحها مكسيم غوركي وهي الواقعية الاشتراكية. وأضحت الواقعية الاشتراكية بداية من 1934 هي الإيديولوجية الأدبية الرسمية التي لا يجوز الخروج عنها في الإبداعات الفنية والأدبية. ووضع الأديب الناقد السوفيياتي مبادئ وقواعد صارمة لهذا المذهب بحيث لا يمكن تجاوزها، وكل من تسول له نفسه الابتعاد عن هذا المنهج الرسمي، يجد نفسه عرضة لاتهامات خطيرة قد تؤدي به إلى القتل، السجن أو المنفى¹.

انتشرت الواقعية الاشتراكية في كل بلدان العالم، إن كان على مستوى التنظير أو الإبداع، ورأى فيها بعض كبار الأدباء العالميين مشروع بعث إنسانية جديدة، ومن روادها الكبار: الشاعر الروسي مايا كوفسكي، والأديب الروسي الذائع الصيت غوركي، ولويس أراغون في فرنسا، وناظم حكمت في تركيا، وبابلونير واد في الشيلي وغارسيا لوركا في إسبانيا ومحمد ذيب في الجزائر².

وسعى بعض الأدباء والمبدعين في تطوير وتحديث الواقعية الاشتراكية ومدّها بنفس جديد ومناهج إبداعية جديدة، حيث مثلت إسهامات باختين وبريشت البديل المكمل والمجدد لهذا المذهب، فقدم باختين فكرة الحوارية وتعدد الأصوات التي تتنافى مع المعنى الواحد والوحيد الذي تقوم عليه الواقعية الاشتراكية، كما أسس بريشت مسرح ثوري تعليمي، يقوم على الحوار والحجاج والنقد العقلاني وسعى إلى حد

¹ - المرجع نفسه، ص: 11.

² - المرجع نفسه، ص: 11.

كبير في تقويض بعض مبادئ الواقعية الاشتراكية. أيضا كانت لجهود لوكاتش التنظيرية دور بارز في تجاوز نظرية الانعكاس اللينينية وفي تجاوز بعض مقومات الواقعية الاشتراكية¹.

*نص تطبيقي: يقول مكسيم غوركي في رواية "الأم": « شكرته وراحت تنادي على بضائعها، وهي تراقب الضوضاء غير العادية التي تسيطر على المصنع. كان سائر العمال في هياج مستمر، يجتمعون ثم يتفرقون، وهم يتراكمون من بناء إلى آخر. وأحست الأم شيئاً جريئاً منعشاً في الجو المشحون بالهبات والدخان. كانت الحماسة تتجلى في عبارات التشجيع أو ملحوظات التهكم التي يتبادلها العمال بين الحين والحين... إن آلاف الناس قادرين على العيش أفضل مما يعيشون لو أرادوا ذلك... الناس الذين يستحون لقب الإنسان هم أولئك الذين يندرون أنفسهم وحياتهم من أجل تحطيم القيود التي تغل عقل الإنسان»².

- مثلت رواية "الأم" نموذجاً مهماً استقى منه الأدباء مبادئ وقواعد المدرسة الواقعية الاشتراكية، من خلال تحليلك للنص بين حدود النقد الواقعي الاشتراكي عند مكسيم غوركي؟

المحاضرة التاسعة:

بلنسكي و"الممارسة النقدية"

¹ - بودريال الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". ص: 11-12.

² - مكسيم غوركي. الأم (رواية). تر: فؤاد أيوب وسهيل أيوب، ط 2؛ بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر،

2007، ص: 125-128.

تنوعت الواقعية إذا، إلى واقعيات مختلفة، فقبل الواقعية الاشتراكية -التي تطرقنا لها سابقا- كانت الواقعية النقدية أيضا هناك الواقعية الطبيعية ...

أما الواقعية النقدية فهي « الشكل الذي أخذته الواقعية في القرن التاسع عشر -إذا استثنينا الواقعية الطبيعية- أي أن الواقعية ولدت وهي نقدية، لأن أوضاع المجتمع الصناعي الأوربي في منتصف القرن التاسع عشر، كانت تحول دون تبلور فكر ثوري جماهيري مؤثر في الفنون والآداب، فاكتفت الواقعية وقتها برصد التناقضات الاجتماعية والكشف عن خبايا الأزمات الكبرى التي كانت تعصف بأوروبا... ويعد الروائي الفرنسي بلزاك أشهر ممثل لها »¹.

أيضا ظهرت الواقعية النقدية في إنجلترا خلال القرن الثامن عشر في أعمال والتر سكوت، وجوجول في روسيا، وكيللر في ألمانيا وحافظت على مكانتها حتى مع انتشار الرومانسية، كما كان لها امتدادات في القرن العشرين عند ماركن دي جارد وتوماس مان وجورج برناردشو².

تقر الواقعية النقدية بأن مهمة الفن والأدب تتمثل في نقد الحياة بمفهومها الواسع، ويلمس المتأمل في هذا الصنف من الإبداعات التأكيد

¹ - بودريال الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". ص: 5.

² - كمال الدين عيد. أعلام ومصطلحات المسرح الأوربي. ط1؛ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2006، ص: 742.

على الدلالة الاجتماعية بالمفهوم الإنساني الواسع للكلمة، وليس بالمفهوم العلمي لـ **ماركس**، كما يلمس اهتماما كبيرا بالقيم الجمالية والفنية¹.

ويعترف قادة **الماركسية** بالدور التاريخي الإيجابي الذي قدمته **الواقعية النقدية**، إذ بفضلها تحقق التراكم الثقافي والجمالي الذي مهد لظهور الوعي الاشتراكي في الأدب والفن والفكر، ولينين نفسه يقر بهذا الفضل، في كتاباته التي تتناول الأدب والفن والثورة، وقد كتب عدة مقالات حول **تولستوي** رائد **الواقعية النقدية** في روسيا، عنوانها "ليون تولستوي مرآة الثورة الروسية"، وذهب بعيدا في دراسته تلك إذ سمحت له بالنتظير لما عرف لدى الماركسيين بـ "نظرية الانعكاس" في الإبداعات الأدبية والفنية².

أما **الواقعية الطبيعية** فيعد **زولا** رائدها في الغرب، وإليه يعود الفضل في بلورة مفهومها وحقيقتها من خلال كتاباته التنظيرية العديدة التي نشرها على امتداد سنوات طويلة، والتي بدأ ينشرها سنة 1866 حين كان على اتصال بالجمعية العلمية في مدينة **إيكس لاشابال**، وتوجت هذه الكتابات بكتابي: "الحملة" و"الرواية التجريبية"، ونشرا سنة 1880³.

هاجم **زولا** الرومانسيين وانتقد إيغالهم في البلاغة ولفظية والخيال وتقديس الفرد وأسطرة الخلق الأدبي، والعزوف عن مادية الواقع، وفي المقابل انبهر بانتصارات العقل وآمن بضرورة اعتماد المناهج العلمية الصارمة التي أعطت ثمارها في شتى مجالات المعرفة العلمية، وخاصة

¹ - يودريالة الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". ص: 5.

² - المرجع نفسه، ص: 7.

³ - المرجع نفسه، ص: 8.

مناهج الملاحظة والتحليل، والتجريب والتوثيق والمقارنة، فهو مدين بصفة خاصة لعلم الوراثة وعلم الأحياء وعلم البيئة والطب التجريبي، وتحول الأديب معه إلى صانع ومنتج، ينحت من الواقع عوالم أدبية حسية وواقعية، وأضحت الممارسة الإبداعية متجذرة في الواقع وشبيهة إلى حد كبير بنشاط كل من الطبيب والقاضي والكااتب والمحضر القضائي داخل إطار مهامهم المادية الملموسة¹.

والواقعية بأنواعها لها أعلام كثر، اهتموا بها وانتصروا لها منهم من تناولناه، والكثير ممن لم يسعنا ذكره، وبلنسكي واحد من هؤلاء الأعلام، والذي سنحاول أن نعرض القليل من جهده النقدي.

* طبيعة النقد عند بلنسكي:

بلنسكي واحد من المفكرين ونقاد الأدب الديمقراطي الروسي درس الأدب في جامعة موسكو ثم التحق بجامعة "تلسكوب"، حيث نشر أول مقالاته النقدية: "مؤلفان" و"مطامح أدبية" في 1834، بعدها تنقل بين المجالات الأدبية المختلفة حتى وصل عام 1846 أن يكون الناقد الأول لمجلة "سوفر مينيك الأدبية"، اضطر للسفر إلى الخارج بسبب الداء الذي يسكن صدره، ومات بعد عودته بفترة قليلة وعمره سبعا وثلاثين، بعد أن استقل السل في رئتيه، تنتمي أفكاره إلى المرحلة التي كانت فيها صفة من المفكرين التقدميين تبحث عن طريق يخرج روسيا من العبودية والحكم المطلق، وكان قد وصل قبل وفاته بسنوات إلى الإيمان

¹ - بودريالة الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". ص: 8-9.

بالاشتراكية مختلطة بتصورات طوبائية، وبالمادية ممتزجة بعناصر ميكانيكية¹.

بدأ **بلنسكي** نشاطه فيلسوفاً، وتطور فكره الفلسفي من مقولات عصر النهضة الأوربي إلى الفكر الثوري الديمقراطي، ومن المثالية الألمانية إلى المادية الروسية، وأسس لعلم الجمال الواقعي في الأدب والنقد، ينطلق من تحليل تاريخي ملموس للظواهر الفنية. تكمن أهميته في القيمة الاجتماعية والتاريخية والثورية التي يحملها، وأن فكره النقدي وثيق الصلة بدور الفن الاجتماعي، وبمناهضة أنصار الفن من أجل الفن لأن الفن كما يقول **بلنسكي**، يجب أن يقدم أعمالاً إبداعية مستمدة من المهمات الرفيعة والقيمة التي تخدم الإنسان. وعمم في نقده النظري التجربة الأوربية في الأدب والنقد وصهرها مع التجربة الوطنية².

أسس **بلنسكي** المنهج التاريخي الاجتماعي في النقد، وتجلت في نقده العلاقة الخاصة والمعقدة بين النظرية والممارسة النقدية، حيث تتواءم دقة النظرية مع العمق والمهارة في التطبيق، ويعد مؤسساً لمدرسة أدبية جديدة عرفت حينها بالمدرسة الغوغولية، وسميت فيما بعد بالمدرسة الطبيعية، وجمع **بلنسكي** بين التفكير الفلسفي والموهبة النقدية، وكانت طبيعته المتمردة تتجلى في أسلوبه الذي جعل من هذا النقد منبر تحريض ثوري تربت عليه أجيال متعاقبة من الثوريين الروس، وخلف وراءه ثورة فكرية نقدية أدبية ضخمة في عدة مجلدات أثرت تأثيراً كبيراً

¹ - جورج لوكاتش. دراسات في الواقعية الأوربية. تر: أمير اسكندر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 273.

² - رضوان قضماني. "بلنسكي (فيساريون غريغوريفتش)". الموسوعة العربية. شبكة الإنترنت: -www.arab.ency.com، 2018/09/06.

في تطور الأدب الروسي القومي وتاريخ الفكر الاجتماعي الثوري في روسيا¹.

*كتاب "الممارسة النقدية" لـ بلنسكي:

قدم بلنسكي في هذا الكتاب ممارسات نقدية مهمة لأعمال كل من بوشكين وليرمانتوف وغوغول.. حيث حاول رسم العلاقة الشديدة الخصوصية والتعقيد بين النظرية والممارسة في النقد الأدبي، فتجلى لديه الفن والدقة في النظرية، إلى جانب العمق والمهارة في التطبيق².

*نص تطبيقي: يقول بلنسكي:

« إذا حرمتنا الفن من حق طرح القضايا الاجتماعية، فإن هذا لا يعني تبجيله بل تحقيره، لأن ذلك يعني تجريده من قوته الحية، أي جعل أفكاره موضوعاً لمتعة طائشة، ولعبة خمول بيد الكسالى، فالشاعر ابن أرضه³. »

- انطلاقاً من النص ومن معطيات المحاضرة، كيف تمكن نقد بلنسكي الجمع بين التأثير في الأدب وفي فكر المجتمع الثوري؟

¹ - رضوان قزمانى. "بلنسكي (فيساريون غريغوريفتش)". الموسوعة العربية. شبكة الإنترنت: www.arab-ency.com، 2018/09/06.

² - بلنسكي. الممارسة النقدية. تر: فؤاد مرعي ومالك صفور، ط1؛ بيروت: دار الحداثة، 1982، ص: 188.

³ - المرجع نفسه، ص: 7.

المحاضرة العاشرة:

التوسير

تهتم النظرية الاجتماعية الأدبية بالمضمون النصي، بتركيزها على المحيط السوسيو- تاريخي للنص، وتجاوزها ما يعتمل بداخله وهو ما جعل عملية تفسير النص الأدبي وفهمه في كنف هذا المنظور النقدي ترتبط بالكشف عن علاقة هذا النص بالحياة المجتمعية، من ثم ترتبط العناصر الأدبية، شكلية ومضمونية بالعامل السوسيو- اقتصادي الذي نشأ في ضوءه، وعليه، يقيم هذا المنظور النقدي « التوازي بين ظواهر غير متجانسة أصلاً، لأن الأدب إنتاج تخيلي وإبداعي يغير نوعياً طبيعة الحياة الخارجية، بكل ما يعتمل فيها من عوامل متعددة»¹.

وخاصة منها العامل الاقتصادي، الذي أضحى في كنفه الإبداع الأدبي صناعة تجارية يحتكم إثرها لقوانين العرض والطلب ولشروط القراءة الاستهلاكية التي يحددها الناشر تماشياً مع تحقيق أكبر للمردود المادي.

ونتيجة لخضوع الإبداع الأدبي للمفاهيم الاجتماعية؛ كانت إقامة « التناظر بين مستويات غير متجانسة .. نقطة ضعف جوهرية تعيب الدراسة السوسولوجية للأداب الأمبريقية والتجريبية، الأمر الذي يجعل نتائج عملها في نهاية المطاف مجرد إضافة لمجموعة من البيانات والمعلومات التي تخدم علماء الاجتماع ودارسيه أكثر مما تخدم نقاد

¹ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص: 54.

الأدب والمتخصصين فيه ¹. لأن هذا المنظور النقدي، لم يؤسس حقله الاشتغالي بالشكل الذي يلج فيه إلى مستويات أدبية النص الأدبي، من ثم، افتقد صلاحيته النقدية وبقي مجرد محاولة لتفسير الأدب من منطلق سطحية الانعكاس الواقعي في مضمون النص الأدبي.

وأدى هذا القصور النقدي إلى تحول الدراسات الأدبية من التفسير الاجتماعي للأدب إلى النقد السوسولوجي، الذي وجه اهتماماته إلى داخل النص عبر بلورة معايير تحليلية تسعفه في مسعاه الرامي إلى محاورة جوهر النص الأدبي.

ومن خلال هذا، تفتعل العلاقة الجدلية بين الأدبي والاجتماعي حيث يتجاوز النص الأدبي الانعكاس الإيديولوجي على ظاهره إلى العمق التفاعلي بين إبداعية النص والمعنى الاجتماعي المُنتج.

معنى ذلك، أن محاولة تجاوز الهفوات التي فصلت بين فاعلية السوسيو- تاريخ وجمالية الأدبي، وأدت إلى السعي نحو توسيع الصلة التفاعلية بين الأدب والنشاط المعرفي والثقافي للمجتمع، ومن ثم علاقة كل ذلك بحركية النقد، فنتج عن ذلك تيار النقد السوسيو جدلي للأدب الذي عملت تنظيراته على اعتبار النص الأدبي فضاء ديناميا من شأنه أن يستوعب الوعي الأدبي والاجتماعي، وتطورت المفاهيم النظرية والإجرائية لهذه النظرية الجدلية، خاصة على أيدي كل من جورج لوكاتش، ميخائيل باختين، ولوسيان غولدمان.

وقدم لوسيان غولدمان نقده البنوي التكويني، بحيث يمثل وفقه مرحلة التحول عن النظرة الدراسية الاختزالية؛ إن كان اختزال التفسير

¹ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص: 54.

الاجتماعي للأدب الجمالي في المضمون أو اختزال البنية الشكلية المضمون في الشكل.

أيضا حاول ألتوسير وهو من ورثة البنية إلى جانب لوسيان غولدمان التخفيف من وطأة الأدلجة قليلا والمزاوجة بين البنية والماركسية في الكشف عن الوعي الجمعي¹.

* جهود ألتوسير في تطوير النقد الماركسي البنوي:

يعد ألتوسير من رواد مدرسة "فرانكفورت" التي أرست منظورا جديدا يقوم على فلسفة اجتماعية ترى ذاتها كنظرية نقدية، حيث أخذ روادها على عاتقهم متابعة المشروع النقدي الذي أساه كانط وتحيين فلسفة التاريخ لدى هيغل بإجراء تعاون وطييد بين الفلسفة والعلوم التجريبية².

كان لـ ألتوسير جهود مهمة في ترسيخ النقد البنوي التكويني -إلى جانب بيار ماشيري- في إضاءة الفكر الأدبي من الأدلجة إلى وعي النص المؤدلج وفق بنيته التكوينية الحاملة للمحتوى الاجتماعي في تراكم الخطاب والتخييل مع المجتمع والتاريخ لدى كشف الدلالات والتشابهات مع البنى الفكرية والاجتماعية لعصره³.

فحاول تطوير النظرية الماركسية، من خلال جمعها بالبنوية وكان له منظوره المختلف لـ الإيديولوجيا. فهي عنده علم يقيني، وهو لا

¹ - عبد الله أبو هيف. "تطبيقات النقد السوسيولوجي في الرواية". النقد السوسيولوجي، م. م، ص: 299.

² - حسن مصدق. النظرية النقدية التواصلية (يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت). ط1؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005، ص: 29.

³ - عبد الله أبو هيف. "تطبيقات النقد السوسيولوجي في الرواية". ص: 307.

يبحث عن وجوده ونشأته، إنما في أصل ومضمون وشرعية المعرفة التي تتعرض لها النظريات المعرفية، فالإيديولوجيا معرفة موجودة ومدركة، لكن المشكلة تكمن في تعليل سبب عرقلة تلك المعرفة الطبيعية، من ثم **فالتوسير** لا يشكك في وجود الإيديولوجيا ولكن جعل منها آلية يستطيع أن يعيش بها الإنسان الحقيقة¹.

أما في قضية علاقة الأدب/الفن بالإيديولوجيا فيقول **ألتوسير** "لا أضع الفن الحقيقي في مصاف الإيديولوجيات، بالرغم من أن الفن له علاقة محددة وشديدة الخصوصية بالإيديولوجية"، والفن كما يرى لديه القدرة على **إظهار** الإيديولوجية التي ينبع منها عبر نوع من الإبعاد الداخلي عنها، ويمثل لذلك بروايات **بلزاك** حيث "تجعلنا ندرك بإحساس من داخلنا، من خلال مسافة داخلية، نفس الإيديولوجية المحتواة فيها هذه الروايات. من ثم يجعل **ألتوسير** للفن علاقة محددة بالمعرفة، حتى وإن كان الفن لا ينظر للإيديولوجية ولا يساعدنا على تعرفها حقا، إلا أنه يتيح لنا **إدراكها** بشكل أكثر فورية وارتباطا بها، بعبارة أخرى يمنحنا الفن إدراكا إيديولوجيا للإيديولوجية، فالوظيفة المحددة للعمل الفني تتمثل عند **التوسير** في إبراز حقيقة الإيديولوجية الموجودة في أي شكل من أشكالها بإقصائه عنها. فإن العمل الفني لا يعجز عن إحداث أثر إيديولوجي².

أيضا قدم **ألتوسير** فكرة ثانية حتى يغير من خلالها علاقة البنية التحتية بالبنية الفوقية، تختلف عن العلاقة التي كان قد حددها **ماركس**

¹ - نعيمة بولكعبيات. سوسيولوجيا النص (تاريخ المنهج وإجراءاته). منكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر - باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010-2011، ص: 50.

² - موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، من الشكلائية إلى ما بعد البنوية. ج: 8، تح: رمان سلدن، تر: أمل قارئ وآخرون، ط1؛ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2006، ص: 357.

وضح فيها أن التشكيلة الاجتماعية لا تحكمها علاقة أحادية تؤثر فيها البنية التحتية على مجمل عناصر البنية الفوقية، فهناك درجات من البعد عن التأثير بالاقتصاد تحظى بها عناصر البنية الفوقية، ومن أهمها الأدب والفن، بل إن بعض هذه العناصر قد تمتلك -في لحظة تاريخية ما- دورا فعالا يجعلها قادرة على التأثير حتى على الاقتصاد ذاته، هذه العناصر الفاعلة هي الأجهزة الإيديولوجية المختلفة¹.

هذا ما أدى بـ ألتوسير إلى رفض ماركسية ماركس، كونها وقعت في شرك الإيديولوجية الإنسانية التي انفصل عنها ماركس الماركسي، وذهب ألتوسير إلى أنه بالرغم من أن الماركسية الإنسية إيديولوجية مرضية، فإنها غير وافية بوصفها نظرية، لأنها إيديولوجية بمعنى آخر، إنها عاجزة عن إنتاج تفسير علمي للتاريخ الاجتماعي فيهدف مشروع ألتوسير إلى تجاوز الماركسية الإنسية عبر تأسيس ماركسية علمية².

ومادام ألتوسير بنوي بفكره، أدخل البنية إلى الفكر الماركسي لأنه احتاج إلى منهج علمي دقيق وصارم حتى يخضع الماركسية له ويصل إلى تأسيس ماركسية علمية. فالفكر الماركسي يرى أن البنية التحتية أساس المجتمع وهي التي تحدد المجتمع والفن والأدب والسياسة، وتنعكس على البنية الفوقية، لكن في الحقيقة لا يمكن اعتبار الواقع الاقتصادي أساس المجتمع، لأن المجتمع في حقيقته هو مجموعة من المستويات المندمجة، وكل مستوى يحمل خصائص وتناقضات مع ذلك فهو يتفاعل ويندمج مع باقي المستويات الأخرى، وهذا التصور يولد

¹ - نعيمة بولكعبيات. سوسيولوجيا النص (تاريخ المنهج وإجراءاته). ص: 52.

² - موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، من الشكلائية إلى ما بعد البنية. ص: 352.

تصورا بنويا واضحا للمجتمع باعتباره بنية مكونة من عناصر متميزة، لكنها مترابطة بالضرورة¹.

على هذا الأساس يبدو واضحا مسعى التوسير في المزوجة بين الماركسية التي حاول تصحيحها، وبين البنوية التي كانت منهجه في ذلك.

*نص تطبيقي:

قدم التوسير « الإيديولوجيا في مقاله (الإيديولوجيا وأجهزة الدولة الإيديولوجية) على أنها تتشكل من خلال حضورها الاجتماعي عبر مختلف الأجهزة لتؤدي وظيفتها في حفظ مكانتها وبقاء سيطرتها، ويعتبر (المدرسة والعائلة ووسائل الاتصال، وحتى النقابات والنظام السياسي هي عناصر الجهاز الإيديولوجي للدولة التي تضمن للإيديولوجيا المسيطرة الانتشار والنوعية عبر فئات المجتمع)².

- في ظل هذا المفهوم للإيديولوجيا، كيف حدد التوسير علاقة الأدب بها (أي بالإيديولوجيا)؟

المحاضرة الحادية عشر:

أنتونيو غرامشي، المثقف والمجتمع

¹ - نعيمة بولكعبيات. سوسيولوجيا النص (تاريخ المنهج وإجراءاته). ص: 52-53.

² - السعيد عموري. "الإيديولوجيا/الخطاب/النص (نحو مقارنة مفاهيمية)". مجلة الأثر، علمية محكمة تصدر عن جامعة ورقلة، الجزائر، العدد 18 جوان، 2013، نسخة إلكترونية: dspace.univ-ouargla، ص: 2018/11/16، ص: 140.

نتيجة لما مر بنا، يكون تفسير أو تحليل أو قراءة الأدب من منظور اجتماعي قد لقي صدى واسعاً، بدء من نظرية المحاكاة إلى نظرية الانعكاس، ثم دور جان باتيست فيكو، أيضاً جهود مدام دي ستايل وغيرها من الرواد، وصولاً إلى النقد البنوي التكويني ...

كل هذه الجهود والتصورات التي تختلف في طريقة فهمها لعلاقة الأدب بالمجتمع، تلتقي في كونها تجمع بين مجالي النقد الأدبي والمنظور الاجتماعي.

يؤكد ذلك بيار زيمّا، حيث أن النقد الأدبي حسبه ليس إلا دراسة سميائية أو أسلوبية بمنظور اجتماعي، فمن تحليل الأسلوب أو اللغة داخل النص يصل إلى الدراسة التركيبية الدلالية المتكاملة القادرة على كشف النص والمجتمع في نفس الوقت، ودون انفصال¹.

أيضاً مختلف النظريات والرؤى والجهود التي تلتقي في جمعها بين مجالي الأدبي والاجتماعي، قدمت مصطلحات وطرق دراسة متباينة تسعفها في مجال بحثها للاقتداء إلى صيغة فهم أشمل للنص الأدبي، على غرار مصطلحات تين؛ -البيئة -العرق/الجنس - العصر/اللحظة التاريخية، أو ما قدمه لوسيان غولدمان في نقده البنوي التكويني ...

هذه المصطلحات وغيرها كثير، يمكن أن تنطوي تحت راية مصطلح أشمل: علم اجتماع الأدب أو النقد الاجتماعي للأدب، لكن

¹ - بيار زيمّا. النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع للنص الأدبي). تر: عايدة لطفي، ط1؛ القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1991، ص: 9.

ربما يقع الدارس في ارتباك وخط في توظيف هذين المصطلحين، فهل هما مترادفين أم أن لكل مصطلح مجاله الخاص؟.

ويرى بيار زيما أنه رغم التقارب بين المصطلحين في استعمالهما في مجال النقد الأدبي، مع ذلك فمصطلح النقد الاجتماعي غدا أكثر تداولاً لكونه أقصر من مصطلح علم اجتماع الأدب، أيضاً هذا الأخير أي -علم اجتماع الأدب- تتوجه المناهج الموجودة فيه نحو الجوانب الموضوعاتية أو الفكرية للأدب، وعليه يرى بيار زيما النقد الاجتماعي أكثر ملائمة في الممارسة النقدية، مادام الجهد النقدي موجه لا للعلم أو المعرفة، إنما يوجه في أغلب الأحيان إلى تقييم النص الأدبي¹.

والنقد الاجتماعي لقي رواجاً لا في روسيا فحسب وإنما خارجها أيضاً حيث وجد له من الرواد والمهتمين من عمل على تطويره، مثلما فعل أنتونيو غرامشي.

* أنتونيو غرامشي، ومفهومه لعلاقة المثقف بالمجتمع:

ولد أنتونيو غرامشي عام 1891 في سردينيا جنوب إيطاليا ودرس في جامعة تورين التي انخرط فيها عام 1911، وكان في العشرين من العمر، نشر في الصحف الإيطالية في الرابعة والعشرين وكان قد تأثر بموجة الفكر الماركسي وبدأ يدافع عن العمال وأوضاعهم المزرية على أيدي الطبقة الرأسمالية، ثم انتسب إلى الحزب الاشتراكي الإيطالي، ومن هذه اللحظة التاريخية بدأ نضاله المرير إذ تبدل اسم الحزب إلى الحزب الشيوعي بعد ذلك. تأثر أنتونيو غرامشي بكتابات

¹ - بيار زيما. النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع للنص الأدبي). ص: 11-12-13.

الفيلسوف أنطونيو لابرولا (1843-1904) أهم الماركسيين الإيطاليين الأوائل حيث كان له تأثير جوهري في فكره الفلسفي¹.

اشتهر أنطونيو غرامشي بفلسفته عن المثقف العضوي ودوره في تغيير المجتمع، واستمرارية أفكاره حية متوقدة تثير بحضورها وتواصلها اهتماما واسع النطاق حتى يومنا هذا، ففلسفة أنطونيو غرامشي لم تزل تعمل في فهم واقعنا الاجتماعي في كل العالم².

وكان قد كتب أنطونيو غرامشي أغلب تأملاته وفلسفته وأفكاره الناضجة في السجن والتي نشرت بعد ذلك وكان جلاها قد كتبها في "دفاتر السجن الأولى" و"دفاتر السجن الثانية".. وهي تربو على ثلاثين دفترًا والتي تضمّت آراءه عن المجتمع الإيطالي، وتفكيره في النظرية الماركسية وعوامل التغيير للواقع، وأحكامه في الأدب والنقد وتربية الأجيال³.

وهناك العديد من المفاهيم البارزة التي التصقت به وعرفت عنه: على غرار: مفهوم الهيمنة الثقافية ومفهوم المثقف العضوي، وكيف يتم التمييز بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني وشروط التغيير من أجل الاشتراكية، كما وعرف بنظريته: الحتمية الاقتصادية ونقده للفلسفة المادية، وهنا يشبه كثيرا المفكر الماركسي الروسي بليخانوف الذي قدّم بدوره هو الآخر نقدا للماركسية⁴.

¹ - سيّار الجميل. "مفهوم المثقف العضوي ودوره في التغيير". شبكة الإنترنت: www.sudaneseonline.com، 2018/09/09.

² - المرجع نفسه.

³ - حسام الدين شلش. "إشكالية العلاقة بين المثقف والمجتمع: قراءة سوسيولوجية". شبكة الإنترنت: www.iraqi.dk، 2018/09/09.

⁴ - سيّار الجميل. "مفهوم المثقف العضوي ودوره في التغيير".

* في الهيمنة الثقافية، يفسرها أنتونيو غرامشي على أنها أسمى بكثير من الهيمنة الاقتصادية، فالثقافة البرجوازية المسيطرة يتبنى الجميع أفكارها بالضرورة، وخصوصا الطبقة العمالية وتتلبس بصورتها، فتغدو الهيمنة ثقافية وفكرية وليست مادية فقط. وعليه، فإن الطبقة المهيمنة هي التي تتحكم بكل المجتمع من دون أن يعارضها أحد¹.

* وفي مشروع المثقف العضوي، فمشكلة المثقفين أساسية وجوهرية، إذ يرى أنتونيو غرامشي أن كل البشر مثقفون بمعنى من المعاني، ولكنهم لا يملكون الوظيفة الاجتماعية للمثقفين، وهي وظيفة لا يمتلكها إلا أصحاب الكفاءات الفكرية العالية الذين يمكنهم التأثير في الناس، ومن هنا يستخلص الفارق بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي، الأول يعيش في برجه العاجي ويعتقد أنه أعلى من كل الناس، في حين أن الثاني يحمل هموم كل الطبقات وكل الجماهير وكل الفقراء والمحرومين والكادحين².

ذلك أن أنتونيو غرامشي في تناوله لمفهوم المثقف: يميز بين نوعين له: المثقف العضوي والمثقف التقليدي.

أما المثقف العضوي فيعني به، المثقف الذي يعمل على إنجاز المشروع السياسي والمجتمعي الخاص بالكتلة التاريخية المشكلة من الفلاحين (الجنوب الإيطالي) والعمال (الشمال الإيطالي).

في حين عني بالمثقف التقليدي، المثقف الذي يوظف أدواته الثقافية للعمل على استمرار هيمنة الكتلة التاريخية السائدة المشكلة من

¹ - حسام الدين شلش. "إشكالية العلاقة بين المثقف والمجتمع: قراءة سوسيولوجية".

² - سيار الجميل. "مفهوم المثقف العضوي ودوره في التغيير".

الإقطاع والبرجوازية والفئة العليا الاكليروس، والمتقف شخص يفرض نفسه ووجوده في مجتمعه وهو ليس بحاجة إلى تحديد لأنه يعلن عن نفسه عبر ممارسته العلمية وإن كانت هذه الممارسة ملتبسة عند المثقفين بسبب الالتباس الحياتي الحاصل¹.

وعليه، فإنّ المثقف الحقيقي هو المثقف العضويّ الذي يعيش هموم عصره ويرتبط بقضايا أمته، والذي لا يتحسّس آلام شعبه لا يستحقّ لقب المثقف حتى وإن كان يحمل أرقى الشهادات الجامعيّة. بعبارة أخرى، يرى أنتونيو غرامشي أنّ على المثقف إدراك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأن يكون نموذجاً إيجابياً لمجتمعه على مستوى الفكر والسلوك، وذلك من خلال إيمانه بما يكتب وترجمته للمجتمع². والحزب الثوري عند أنتونيو غرامشي وحده القادر على تكوين طبقة جديدة من المثقفين العضويين المرتبطين بهموم الناس وقضايا العمال والفلاحين. إن هؤلاء المثقفون العضويون يمكنهم أن يشكلوا هيمنة بديلة عن الهيمنة الرأسمالية. ومن هنا يكون أنتونيو غرامشي هو الوحيد الذي اعتقد بأهمية المثقفين ودورهم في التغيير، إذ كان يؤمن بأنهم قادرون على صنع المعجزات إذا ما التزموا بقضية الشعب الأساسية التزاماً عضوياً وحيوياً³.

بذلك تتضح أهمية أنتونيو غرامشي في تاريخ الفكر العالمي المعاصر وكان جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية قد أعجب بأفكاره الجديدة المنبثقة من حياة المجتمع ومضامين الواقع، بعيداً عن المخيال

¹ - حسام الدين شلش. "إشكالية العلاقة بين المثقف والمجتمع: قراءة سوسولوجية".

² - المرجع نفسه.

³ - سيّار الجميل. "مفهوم المثقف العضوي ودوره في التغيير".

الإيديولوجي الذي توهمه الماركسيون وكتابهم، علما أن أنتونيو غرامشي قد ولد وترعرع ماركسيا ونظريته في الهيمنة الغربية التي تبلورت على يديه لم تزل حية ترزق بكل أشكالها التي لم تزل تعاني منها المجتمعات غير الغربية. وأفكار أنتونيو غرامشي لا يمكن فهمها حتى ندرك ما يحيط العالم من ظروف مادية تاريخية. ومن هنا ندرك قيمة نظريته عن المثقف العضوي ودوره في تغيير المجتمع. ذلك أنه حتى أنتونيو غرامشي نفسه، لا يمكننا فهمه وفهم أفكاره ودفاتر كتبها في سجنه إلا ضمن سياقه التاريخي والظروف التي عاشها¹.

*نص تطبيقي: المثقف عند أنتونيو غرامشي « من يستشعر كل ما يكابده الناس ويكون لصيقا لمعاناتهم وآلامهم باعتباره واحداً منهم، بل وعليه أن يقوم بدور الناصح والمرشد والمربي والرسول، شريطة أن يرتكز على المفاهيم الحية للثقافة، لكي ينطلق في نشر رسالته الكبيرة داخل المجتمع »².

- من المثقف الذي يقصده غرامشي وما هي الرسالة التي أوكله بها؟

المحاضرة الثانية عشر:

سلامة موسى

لقي النقد الاجتماعي تجاوبا كبيرا عند الناقد العربي، ومما ساهم في ذلك، التطورات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها العالم العربي، واستجابة الأدب والنقد للمتغيرات المحيطة والمتحققة حولهما، فبعد عودة

¹ - المرجع نفسه.

² - حسام الدين شلش. "إشكالية العلاقة بين المثقف والمجتمع: قراءة سوسيولوجية".

البعثات المصرية لتلقي الثقافة الأوروبية عامة، كان أحمد ضيف أول طالب تخصص في الدراسات الأدبية عام 1912، وفتح بذلك باب النقد المنهجي لأول مرة في أدبنا الحديث، حيث نقل أحمد ضيف المنهج التاريخي الذي تلقاه عن الفرنسي غوستاف لانسون، وأثر في طه حسين وأحمد أمين، وأمين الخولي، أحمد الشايب وغيرهم¹.

من ثم، يكون الناقد العربي نتيجة لأسباب استعمارية، قد نقل النقد الاجتماعي في بداياته الأولى عبر بوابة النقد الفرنسي، أي النقد الاجتماعي كما فهمه وطوره الناقد الاجتماعي في فرنسا.

فالنقد الاجتماعي، منهج دخيل على وعي النقد العربي ويكشف عن مدى استلابه لثقافة الغزو، هو في حقيقته مشروع يسعى إلى تغيير الفكر في معايشة الثقافة والإنسان وجعل الفكر يتزعرع في مناخ الرؤية الجدلية المتقصية الشمولية، أي أنه فكر لا يقنع بإدراك الظواهر المعزولة بل يطمح إلى تحديد المكونات الأساسية للظواهر والعلاقات التي تربط البنى التحتية والفوقية².

لكن كيف كان تلقي الناقد العربي لهذا النقد الاجتماعي؟ هل ساهم فعلا في تغيير فكره وحث وعيه على ضرورة فهم الهوية الواسعة بين هذا النقد بفكره الدخيل والنص العربي بخصوصيته الفكرية والثقافية؟ هل يعي الفلسفة التي تقف وراء نشوء هذا المنهج؟ كيف هي طبيعة فهمه لحدوده المنهجية ومستوياته التحليلية وتطوراتها التي تلونت بلون كل مرحلة وكل رائد من الرواد....؟

¹ - رزيقة طاووا، "المناقفة النقدية العربية المعاصرة للنقد السوسولوجي الغربي"، ص: 401.

² - المرجع نفسه، ص: 404-405.

برز النقد الاجتماعي في العصر الحديث « كحركة موجهة للأديب في بداية القرن التاسع عشر حين تغلبت النظريات الاشتراكية والرأسمالية على النظم الاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي، فظهرت طبقة من النقاد ترى أن الأدب في خدمة المجتمع، أو هكذا ينبغي أن يكون، وأن النقد يصبح عديم الفائدة إذا تحجر أمام جمال النص أو رداءته، والأولى أن ينظر النقد إلى العمل الأدبي على أنه جزء من نظام الحياة العام، فيحدد الأهداف التي يرمي إليها، والفكرة الاجتماعية التي يعكسها، وقد رفضت هذه الفئة من النقاد كل أشكال التحكم والسيطرة على مقدرات الشعب وثرواته، فحاربت البرجوازية والإقطاع بأشكالهما الاقتصادية والأدبية، وشجبت الأعمال الأدبية المؤيدة لهذه النظم القاسية»¹.

على هذا الأساس، اتخذ الناقد العربي من النقد الاجتماعي مخلصه من الانطباعات التي لا فائدة ترجى منها، فالأدب ونقده يجب أن يكون في خدمة المجتمع. ووجد النقد الاجتماعي من المتأثرين به من النقاد في مختلف أقطار الوطن العربي، وآمن بجذواه في النهوض بالوعي العربي، فدعوا النقد أن يعتنق آليته، والأدب أن يعايش هموم مجتمعه وينقلها.

من أمثال، **عمر الفاخوري في لبنان** صاحب مدرسة التحرر الفكري، الذي رأى أن الأدب كسائر الفنون الجميلة ظاهرة اجتماعية أصلاً، ووظيفته اجتماعية فعلاً، ويكتب في مهاجمة النازية، والفاشية،

¹ - أحمد عبد الحميد مهدي. "المنهج الاجتماعي ورواده في النقد الأدبي الحديث". بحث في مادة: النقد الأدبي الحديث، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية- شاه علم -ماليزيا، شبكة الإنترنت:

ahmed.mahdey@mediu.ws، 2018/09/07. ص:1.

وينتصر للديمقراطية. والناقد محمد مندور، الذي يعد من أبرز النقاد الاجتماعيين الذين نرصد اتجاهاتهم النقدية، وهو من المؤسسين للفكر والفلسفة الاشتراكية في الأدب، فقد حمل طويلا شعار "الأدب نقد للحياة"، وتجلى هذا الشعار في إعجابه بالأعمال الأدبية ذات المضامين الاجتماعية الواضحة، فهو يعجب برواية "زينب" لـ محمد حسين هيكل، ويعتبره رائد الواقعية، كما يعجب بـ"ليلي صبيح" لـ حافظ إبراهيم؛ لتضمنه مواقف اجتماعية خالدة، غير أنه يعيب على حافظ إبراهيم اهتمامه البالغ بلغته، مما يفسد المضمون في أغلب الأحيان¹.

ويظهر النقد الاجتماعي عند محمد مندور بوضوح في كتابه "في الميزان الجديد" حين يؤكد أن الأدب معاناة مأساوية، يصدر عن تجربة اجتماعية وجمالية معا، فهو يربط إذا بين تذوقه للجمال وفق القوانين الفنية التي كونت مذهبه النقدي، وبين البحث عن الهدف الاجتماعي، وفي هذا الإطار يرفض كل الدراسات النقدية التي لا تقوم على هاتين الغايتين. وهكذا، يظل محمد مندور ناقدا اجتماعيا يرى أن الأدب لا يتجرد عن قضايا المجتمع، ويتمسك بها بجانب تمسكه بالقضايا الجمالية المحضة².

أيضا هناك العديد من النقاد الاجتماعيين في الوطن العربي، ومن الرواد أيضا نجد سلامة موسى.

* "سلامة موسى" ودوره في تكريس النقد الاجتماعي العربي:

1- أحمد عبد الحميد مهدي. "المنهج الاجتماعي ورواده في النقد الأدبي الحديث". ص: 2.

2- أحمد عبد الحميد مهدي. "المنهج الاجتماعي ورواده في النقد الأدبي الحديث". ص: 3.

يأتي سلامة موسى في طليعة الكتاب الذين أخذوا بالمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده، ودعا إلى أدب الإصلاح الاجتماعي، معتبرا الأدب مرتبط بالأوضاع الطبقيّة للمجتمع. وهذا ما لم يجده في الأدب العربي القديم، حيث كان مقصورا في نظره على مخاطبة طبقة خاصة¹.

ويوضح هذا في كتابه "الأدب للشعب"، حيث يقول: « نقرأ كتب الأدب العربي القديم فلا نجد أية عناية بالصانع أو التاجر أو الزارع أو المرأة، لأن كل هؤلاء كانوا أميين، لم يتعلموا، ولذلك نجد أن المؤلفين كانوا يعنون بقصص الملوك والأمراء، وبما يجب عليهم من الواجبات السياسية للرعية ... ولذلك أيضا نجد أن الأدباء القدماء كانوا يكتبون لأدباء مثلهم ... أيضا نجد أن الأدب القديم كان على الدوام أسلوبا تقليديا ولم يكن ابتكاريا مستقبليا .. وكان يكتب للخاصة بل أخص الخاصة التي تعلمت مثله ودرست ثقافته ونزعت نزعته »².

فخالف سلامة موسى الأدب القديم، ووصفه بأنه أدب ملوكي، أو أدب الترف الذهني، والتسلية وأن المجتمع العربي نفسه كان أميريا إقطاعيا، ولهذا جاء الأدب منافقا لم يهتم بقضايا المجتمع³.

ودعا في مقابل ذلك إلى أديب مجدد يكتب للشعب ويتصل بقضايا مجتمعه، يقول: « من أجل ذلك شعر هؤلاء الأدباء بالحاجة إلى لغة جديدة تعبر عن مقاصدهم، فهؤلاء الأدباء يطلبون أدبا عضويا يرتبط بالمجتمع ويؤدي فيه وظيفة حيوية، وهو عضوي من حيث أنه يؤدي في

¹ - العيد جلولي. "الخطبة الماركسية للنقد السوسولوجي العربي الحديث". ص: 212.

² - سلامة موسى. الأدب للشعب. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1961، ص: 27.

³ - أحمد عبد الحميد مهدي. "المنهج الاجتماعي ورواده في النقد الأدبي الحديث". ص: 1-2.

الجسم الاجتماعي خدمة معينة كما تؤدي اليد أو القدم خدمة معينة للجسم البشري»¹.

ودعا أيضا إلى التنقيب عن معنى الحياة ودلالاتها، حيث يقول فيه: «التنقيب عن معنى الحياة ودلالاتها، وهو البحث عن طبيعة الكون وهو إقناع الإنسان بأن يكون إنسانا، وهو ابتكار القيم الجديدة تأخذ مكان القيم القديمة وتزيد الدنيا والبشر جمالا وسعادة»².

أما في كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية"، فيشن حملة شعواء على القائمين بتدريس اللغة العربية في مصر لأنهم يستخدمون لغة بعيدة عن روح المجتمع في البيت والشارع والمصنع والمزرعة وغيرها³.

فكانت رسالة الأدب من خلال النقد الاجتماعي عند سلامة موسى تربية، تغير المجتمع وتعنى بمعالجة شئونه، حيث كان يرى أن الأدب للحياة والإنسانية والمجتمع، وأنه ليس نكتة بديعة، أو بيتا رائعا، وإنما هو ارتقاء وتطور لتعميم الخير والشرف والإخاء والحب. لذلك فهو في منهجه الاجتماعي لا ييدي اهتماما بالعنصر الجمالي للعمل الأدبي، ويرى أن الكاتب كلما اهتم بالشكل ابتعد عن خدمة المجتمع⁴.

ومما يلاحظ، أن سلامة موسى لم يكن ماركسيا، بالرغم من دعوته إلى سيادة الاتجاه الاجتماعي في الأدب، وبالرغم من كتابته عن أدباء الروس أو تبيينه لاتجاهات الأدب الروسي على أن دعوته هذه كانت عاملا لاشتداد عود الأدب الاجتماعي في الخمسينيات، استظهر

¹ - سلامة موسى. الأدب للشعب. ص: 32.

² - المرجع نفسه، ص: 8.

³ - العيد جولوي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسيولوجي العربي الحديث". ص: 13.

⁴ - أحمد عبد الحميد مهدي. "المنهج الاجتماعي ورواده في النقد الأدبي الحديث". ص: 2.

جماعة من النقاد الواقعيين الذين بالغوا في رسالة الأدب الاجتماعية، واتخذوا من بعض أجناس الأدب كالقصة مثلا وسيلة دعائية لفكرهم السياسي والأدبي، يخدعون بها الدهماء، ويضللون البسطاء من عامة الشعب¹.

مع ذلك، فالخلفية الماركسية تتضح في دعوة سلامة موسى لأدب الإصلاح الاجتماعي، أيضا اتخذ من مصطلح "صناعي" رمزا للتقدم، ومن مصطلح "زراعي" رمزا للتخلف والجمود، واتهم بالرجعية كل الأدباء الذين لم يهتموا بالحركة الصناعية وسمى أدبهم أدب الجمود والتقاليد وكراهة التغيير والخوف من المستقبل، ودعا إلى الأب الاشتراكي أدب التغيير والتطور والإيمان بالمستقبل ومكافحة الفقر والجهل والمرض ومكافحة الاستعمار والاستبداد².

ومهما قيل عن فكر سلامة موسى ورؤيته للكون والحياة والناس فإن الفضل يرجع إليه في طرح قضية علاقة الأدب بالمجتمع والتأثير في من جاء بعده من أعلام الفكر الماركسي في النقد العربي الحديث³.

*نص تطبيقي:

يقول سلامة موسى في المتنبي « أجد .. صورة الكفاح بين العرب والرومان في عشرات من قصائده الرائعة، أي أن له قيمة تاريخية عندي أبصر بها حركة التاريخ، ولكنه مع ذلك ينأى عني حين أجد أنه لم يعرف "الجندي المجهول"، فإنه حين يصف معركة إنما يجعل بؤرة

1- المرجع نفسه، ص: 2.

2- العيد جولي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسيولوجي العربي الحديث". ص: 213.

3- المرجع نفسه، ص: 214.

القصيدة أميره "سيف الدولة" الذي ربما لم يشترك بشخصه في معركة واحدة، أما الجنود الذين كانوا يُؤسرون ويُقتلون فلم يكن يذكرهم .. لأن الشعب لم يكن قد ارتفع إلى وجدانه، ولكنني مع عذري له .. أجده غريبا عني¹.

- ما هو الاتجاه الذي كان سبيل سلامة موسى في نقده لشعر المتنبّي، وفيما تتمثل حدوده، ولماذا غدا دور الأدب فيه مرتبط بمدى قرّبه من الشعب؟

¹ - سلامة موسى. الأدب للشعب. ص: 20.

المحاضرة الثالثة عشر:

التنظير الواقعي مع حسين مروة

تنوعت أشكال النقد الاجتماعي التي ولجت إلى النقد العربي، ولم تبق في حدود التلقي الضيق الذي كان في بدايته محصورا في الأسماء النقدية العائدة من البعثات المصرية المتلقية للثقافة الأوروبية، ولم يبق الباب الفرنسي هو المنفذ الوحيد لذلك، إذ تنوعت المنافذ وتعدد المداخل واستطاع النقد العربي نقل النقد الاجتماعي بتلوينات مختلفة، على غرار النقد الاجتماعي العربي الذي يتكى على خلفية ماركسية أو الذي تبنى الواقعية الاشتراكية... فتأثر الناقد العربي بـ **الفكر الماركسي** أيما تأثير ووجد له من المرحبين والمعتنقين الكثير.

وبعد سلامة موسى نجد محمد مفيد الشوباشي الذي يعد من أوائل الماركسيين العرب متأثرا بالماركسيين الروس، حيث انكب على دراسة وتحليل وترجمة أدبهم وأعمالهم إلى اللغة العربية¹.

أيضا من الماركسيين العرب هناك عبد الرحمن الخميسي، وعبد المنعم تليمة، وأحمد محمد عطية، حيث تحمسوا للماركسية ودعوا إلى اجتماعية الأدب، إلى جانب أسماء أخرى تحمست بدورها للماركسية لكن تخلوا عنها في الأخير مكتفين بالمنظور الاجتماعي للأدب، أمثال: **عبد العظيم أنيس** و**محمد مندور** و**لويس عوض** و**غالي شكري**...²

¹ - العيد جلولي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسولوجي العربي الحديث". ص: 214.

² - شايف عكاشة. اتجاهات النقد المعاصر في مصر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، ص:

كما نجد أنور المعداوي (مصر) في الخمسينيات من الأوائل الداعين إلى أدب ملتزم بقضايا مجتمعه، حيث يقول: « كل أديب يتحدث عن مشكلات المجتمع وما ينتج عن هذه المشكلات من أثر في حياة الناس، فهو أدب جديد وكل أدب يدور بخواطره وأفكاره حول محور غير هذا المحور أو يرمي إلى هدف آخر غير هذا الهدف فهو أدب قديم ... نحن إذا من أنصار الأدب الجديد الذي نسميه الأدب الملتزم ولكن على صورة أخرى غير تلك التي رسمها مثيرو الضجة التي حدثت منذ عهد قريب... تتفق معهم في الجوهر وتختلف معهم فيما اكتنف هذا الجوهر من أمور»¹.

وتعتبر قضية الحرية والالتزام من أهم القضايا التي تناولها النقد الاجتماعي العربي الحديث، وتجلت عبرها خلفيته الماركسية، إذ ظهرت هذه الدعوة عند النقاد الاجتماعيين الماركسيين العرب، فتحدثوا عن المفهوم الاجتماعي للحرية وعلاقته بالالتزام، وهم يرون أن حرية الأديب لا تكتمل إلا في إطار الحرية الاجتماعية، ولا يعني الالتزام عندهم مجرد الأديب من حريته، أو أن يتحول الأدب إلى شعارات وتقارير².

فهذا محمود أمين العالم يقول في قضية الدعوة إلى الالتزام في الأدب: « لسنا نحجر على حريتهم في التعبير، ولسنا نطالبهم بإثقال ضمائرهم بغير ما تنفعل به، ولسنا نقول لهم اجعلوا من أدبكم وفنكم شعارات ثورية أو حلولاً اجتماعية أو تقارير سياسية، ذلك أن الالتزام في

¹ - محمد الكتاني. الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث. ط1؛ الدار البيضاء: دار الثقافة، 1982. ص: 742.

² - العيد جولي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسيولوجي العربي الحديث". ص: 217.

الأدب والفن ليس نقيضا للحرية، ولا يمكن أن يتم على حساب الأدب والفن»¹.

ويؤكد ذلك أحمد محمد عطية حيث يرى أن الالتزام في الأدب والفن وعي واقتناع واختيار حر، وليس ملتزما من كان التزامه نابعا من نفاق اجتماعي، كل ذلك حتى لا يتحول عمل الأديب إلى نوع من الخطب أو المنشورات السياسية أو الأعمال الفجة المباشرة وأسلوب التقارير الجافة².

كما يوضح عبد الرحمن الخميسي أن حرية الأديب تكمن في انسجام مشاعره وعواطفه وأحاسيسه مع مشاعر وعواطف وأحاسيس مجتمعه، حيث يعيش الأديب مشاكلهم ويصور آلامهم وآمالهم، وينشأ عن هذا الانسجام نوع من الألفة يتمكن من خلالها تحقيق حرته³.

وعليه يكون الناقد العربي قد وجد في النقد الاجتماعي الذي يقوم على خلفية ماركسية، متنفسا له في ظل الظروف الاستعمارية والسياسية التي يعيشها مجتمعه، فكان مطيته التي يلتزم وفقها بقضية هذا المجتمع، حيث يعبر عنها من منطلق حرية واختيار، ولا يقف في كل ذلك موقف الواصف، بل يحث على التوجيه نحو تحقيق أهداف الفكر الماركسي الذي يعتنقه، فيصل إلى تغيير موقف الطبقة الكادحة حتى تساهم في النضال ضد أوضاعها المزرية.

¹ - محمود أمين العالم. الثقافة والثورة. ط1؛ بيروت: دار الآداب، 1970، ص: 54.

² - العيد جولي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسيولوجي العربي الحديث". ص: 218.

³ - المرجع نفسه، ص: 218.

وتجلت الخلفية الماركسية في النقد الاجتماعي العربي، مشكلة مواقف متميزة على غرار ما فعل الناقد حسين مروة.

*حسين مروة والتنظير الواقعي:

كان لـ **حسين مروة** مجموعة كتابات تتوزع بين أدب النضال السياسي، وكتابة النقد الأدبي، ودراسة التراث الفكري العربي والإسلامي في حركة تطوره منذ الجاهلية حتى اليوم.

ففي مجال النقد الأدبي، كتب **حسين مروة** صفحة جديدة في تراثنا النقدي المعاصر، وقد تبلورت نظريته النقدية في كتابيه: "قضايا أدبية" و"دراسات نقدية"، اللذين ناقش فيهما المستوى النظري والتطبيقي وكافة النقاط التي لا تزال تشغل جانبا مهما من تفكيرنا فيما يتعلق بنظرية الأدب وأصول علم الجمال.

- الأول منهما كان حصيلة المعارك التي خاضها طوال الخمسينات مع أصحاب النزعات المثالية والرجعية في الأدب مع أصحاب نظرية الفن للفن ويغلب عليه الجانب النظري للمنهج الواقعي في فهم الأدب وتفسيره ونقده.

-وأما الثاني فهو متابعة وتعميق للمعركة الأدبية والإيديولوجية نفسها في الجانب العملي التطبيقي لهذا المنهج، وذلك من خلال دراساته للعديد من الآثار الأدبية الإبداعية لشعراء وكتاب من لبنان ومن مختلف البلدان العربية¹.

¹ - حبيب بولس. "حسين مروة، مؤسس مدرسة النقد الواقعي الاشتراكي في العالم العربي". منتديات ستار تايمز، شبكة الإنترنت: www.startimes.com، 2018/09/10.

دعا حسين مروة إلى نقد منهجي ملتزم يركز على قواعد وأصول ومقاييس، وحارب نوعية النقد الأدبي التي كانت غالبية في العالم العربي والتي اتسمت بالتأثرية، لأن النقد التأثري يفقد النقد وظيفته الأساسية كلياً. والمنهج الملتزم الذي يقصده هو المنهج الواقعي وبالتحديد المنهج الواقعي الجديد أو الاشتراكي، ذلك المنهج المرتكز على علم الجمال الماركسي اللينيني¹.

وعماد نظرية هذا الاتجاه في النقد عند حسين مروة هو النظر إلى العمل الأدبي على أنه تصوير للواقع، ولكن من خلال ذات المبدع وانفعاله به وتعاطفه معه وجدانياً. فالواقع حسب هذه النظرية هو الموضوع أو الحقيقة الموضوعية أو المجتمع بمجمل ظروفه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وعمل الأديب الخلاق هو في وعي الواقع وفي كيفية التعبير عنه تعبيراً يرتفع عن مستوى الانفعال الحسي به إلى مستوى الشاعرية التي تنفذ إلى جوهره وتكشف عن صفاته الحقيقية المكونة لحركة تطوره وصيرورته، وتصبح من ثم شكلاً من أشكال العمل الفكري المعرفي الذي يتخذ الرؤى والصور أدواته المعبرة دون المقولات والمفاهيم، ويضيف به الأديب إلى الواقع واقعا جديداً من صنعه، من صنع رؤيته الداخلية له، رؤية الوعي والخيال والوجدان معا التي تبرز فيها الذات بالموضوع وتتحقق علاقة التأثير المتبادل بينهما².

على هذا النحو وضح حسين مروة الأسس النظرية للنقد الواقعي في الأدب، متكئاً على الوعي الجمالي والوعي المعرفي. وهو ينفي مرارا

¹ - حبيب بولس. "حسين مروة، مؤسس مدرسة النقد الواقعي الاشتراكي في العالم العربي".

² - المرجع نفسه.

في مختلف اجتهاداته ودراساته أن تكون الواقعية وهي تحتفل بالواقع تنقله نقلا آليا، وأكد دور الطاقات الذاتية للفرد في عملية الخلق الفني مقرا إمكانية الكتابة عن الموضوع دون أن تضيع في حدود الذات، وبين ضرورة الفن كقيمة جمالية عليا وكعمل خلاق يخلق من الحدث الواقعي حدثا فنيا هو شيء آخر غير الواقع وإن كان هذا الواقع منبعه وملهمه. وحذر الذين يكتبون عن المجتمع كتابات واقعية أن تكون كتاباتهم هذه على حساب فنية فنهم، ورأى أنه لا يمكن تصور الواقعية عقلانية خالصة مفرغة من الإبداع والخيال والوجدان الرومانسي حيث يقول: "إن الاستغناء في العمل الفني عن الخيال يبطله"¹.

*نص تطبيقي:

« في نقده بحث "حسين مروة" عن الإنساني وعن الفردي وميز بينهما، فقبل الأول ورفض الثاني، لأنه رأى في الأول عنصرا من عناصر خلود الأثر، ورأى في الثاني عنصرا من عناصر ضعفه ومحدوديته وهذا العنصر: عنصر الإنساني مقابل الفردي، معيار نقدي أساسي في منهجه يعتمد في تقويم الأثر الأدبي »².

- انطلاقا من النص، ما هو منهج حسين مروة في نقده للنص الأدبي وما هي الخلفية التي يتكئ عليها؟

¹ - حبيب بولس. "حسين مروة، مؤسس مدرسة النقد الواقعي الاشتراكي في العالم العربي".

² - المرجع نفسه.

المحاضرة الرابعة عشر:

محمود أمين العالم

انتشر النقد الاجتماعي في الممارسة النقدية العربية، وعلى غرار سائر البلاد العربية شمل حيزا كبيرا من الفضاء النقدي المغربي، على غرار النقد الجزائري الذي تجلت فيه هيمنة شاملة للنقد الاجتماعي خلال السبعينيات، حيث هيمنت الأيديولوجية الاشتراكية على الحياة الجزائرية في شتى مستوياتها السياسية والثقافية والاقتصادية، وبرزت موجة نقدية تطالب بالتشديد على البعد السوسيولوجي للنص الأدبي ومدى مواكبته لهذه التحولات الاجتماعية الجديدة¹.

ف « ارتبطت "الحركة النقدية" سواء في النصف الأول من القرن العشرين أو في السبعينيات بالتحولات التي عرفتھا البلاد فكان التوجه المضموني هو الغالب بصرف النظر عن طبيعة المضمون الذي كان وطنيا عاما ثم صار إيديولوجيا اشتراكية في فترة محددة²».

حيث بدأ البحث في المجال النقدي الاجتماعي يتعمق في علاقة الأدب بالأيديولوجية على النحو الذي فعله **عمار بلحسن** و**واسيني الأعرج**، وظهر نتيجة لذلك كم نقدي معتبر يتحرك ضمن هذا الفضاء المنهجي. ويعد **واسيني الأعرج** أكثر النقاد الجزائريين تغلغلا في الجهاز المفهومي للنقد الاجتماعي وأصوله المادية الجدلية، ففي كتابه "اتجاهات الرواية العربية في الجزائر" يتخذ من مفهوم "الالتزام" مفتاحا منهجيا

¹ - رزيقة طاوواو. "المناقفة النقدية العربية المعاصرة للنقد السوسيولوجي الغربي". ص: 402-404

² - مخلوف عامر، "البعد الاجتماعي في المدرسة النقدية بالجزائر". النقد السوسيولوجي، م . م، ص: 98.

للولوج إلى عالم النص ويركز على التناقضات الاجتماعية في النص، وما يمكن أن تفرزه من صراعات طبقية، لا سيما نضال الطبقات المحرومة ضد الإقطاعية¹.

ويعتبر النقد الاجتماعي في الجزائر ممثلاً للنقد الاجتماعي المغربي، حيث تتسحب عليه الظروف ذاتها، سواء التأسيسية أو التطويرية اللاحقة. فالإلى جانب النقد الاجتماعي الذي يركز على المضمون الاجتماعي ظهرت تنويعات جديدة مثلها أسماء نقدية بارزة.

على غرار البنية التكوينية التي حظيت بحضور واسع في النقد الاجتماعي المغربي، وتجلت ذلك مثلاً في الدراسة التي قدمها محمد بنيس في كتابه "ظاهرة الشعر المعاصر"، وكتاب محمد بريدة "محمد مندور وتنظير النقد الأدبي"، ودراسة محمد رشيد ثابت التي قدمها للجامعة التونسية "البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام"، كذلك كتاب نجيب العوفي "درجة الوعي في الكتابة" (1980)، إضافة إلى كتاب حميد لحميداني "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة ببنوية تكوينية" (1985)².

إلى جانب دراسات لأسماء نقدية مغربية وعربية لا تقل أهمية عن ما ذكرنا، ذلك أن تنويعات النقد الاجتماعي ولجت إلى مختلف أقطار الوطن العربي، المشرقي أو المغربي. الاختلاف فقط تجلى في الفترة الزمنية وفي مصدر التلقي، فالممارسات النقدية الاجتماعية المغربية الأولى والتي ربما تحسب لمرحلة التأسيس، كانت حصيلة المد الثقافي

¹ - رزيقة طاوواو. "المناقفة النقدية العربية المعاصرة للنقد السوسولوجي الغربي". ص: 404.

² - المرجع نفسه، ص: 403.

المشركي، وفي أغلبها نتيجة للاحتكاك المباشر بالجامعات المشركية. وذلك كان نتيجة لظروف اجتماعية واستعمارية حيث كانت النهضة في المشرك العربي قد خطت خطوات مهمة نحو الأمام.

ثم واصل النقد الاجتماعي المغاربي في تطوير منطلقاته النظرية وأدواته الإجرائية، محققا استقلاله عن الثقافة المشركية، لينفتح مباشرة على المرجعية الأوروبية، بل بحكم الإتقان للغة الفرنسية غدا يمثل بوابة لولوج اتجاهات مهمة حتى للنقد المشركي.

نتيجة لما سبق، يكون النقد الاجتماعي العربي قد ارتبط « حتى وقت قريب بإظهار المضامين الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وقرن غالبية الباحثين والنقاد ذلك بالنقد الماركسي الإيديولوجي المعني بضبط المضامين بالجدلية الماركسية التي سيطرت على القضايا الأدبية والنقدية حتى نهاية السبعينيات باسم الواقعية الاشتراكية، والانعكاس، والالتزام، والتحزب، والانتماء العقائدي ... »¹.

ففي الخمسينيات والستينيات كان النقد الواقعي يشكل سيد الواقع المحيط، حيث هدفت ثلة مهمة من النقاد إلى تكريسه، فحين أصدر محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس كتابهما "في الثقافة المصرية" سنة 1955، كانا يهدفان إلى إرساء نقد ماركسي واقعي فاعل في العالم العربي. وبقي محمود أمين العالم حتى بعد ثلاثين عاما، وعلى الرغم من خفوت صوت المدرسة النقدية الجدلية يؤكد أنها لا تزال تشكل أبرز

¹ - عبد الله أبو هيف. "تطبيقات النقد السوسيولوجي في الرواية". ص: 346.

الاتجاهات في النقد العربي المعاصر، سواء من الناحية النظرية
الخالصة أو التطبيقية¹.

* الواقعية الاشتراكية عند محمود أمين العالم:

تمثل الماركسية عند محمود أمين العالم النظرية الوحيدة التي
تعترف بالأساس الاجتماعي الطبقي للديمقراطية، وتحدد السبيل العلمي
لتوفير أرقى مستوى من الديمقراطية للمجتمع البشري².

فأمن بالماركسية ودعا إلى الواقعية الاشتراكية، حيث يعتبر محمود
أمين العالم من مؤسسي المدرسة النقدية الواقعية في الأدب العربي
بكتابه مع عبد العظيم أنيس "في الثقافة المصرية" -المذكور سابقا- في
مستهل الخمسينيات. ومازال إلى يومنا هذا رائدها الأول، ثم تتالت
كتاباته النقدية مغنية الاتجاه النقدي الواقعي ومطورة له تطورا يتماشى
مع تطور الأدب العربي الحديث نفسه، ورابطة مسيرة أدبنا بتطور الأدب
العالمي³.

يعرّف محمود أمين العالم النقد الأدبي بقوله: "النقد الأدبي في كل
مرحلة من مراحل حياتنا الاجتماعية وعي نظري لما يتضمنه التعبير
الأدبي من قيم وخصائص في هذه المرحلة، ومع تطور حياتنا
الاجتماعية وتطور أشكالها ومعاركها، يتطور الأدب وأشكاله وقيمه،
ويتطور كذلك وعينا النظري للأدب"⁴.

¹ - رزيقة طاووا. "المناقفة النقدية العربية المعاصرة للنقد السوسولوجي الغربي". ص: 402.

² - شايف عكاشة. اتجاهات النقد المعاصر في مصر. ص: 44.

³ - فؤاد مرعي. "محمود أمين العالم..رائد المدرسة الواقعية في النقد الأدبي". شبكة الإنترنت:

jamaliya.com، 2018/09/10.

⁴ - المرجع نفسه.

ويحدد وظيفة النقد الأدبي بقوله: "إذا كان الأدب والفن نقدا للحياة، كشفا وتنمية لقيمتها الجديدة، فإن النقد لا يقف عند حدود التحليل الجمالي والاجتماعي للأدب فحسب، وإنما هو نقد لهذا النقد للحياة، وهو نقد لهذا الكشف ولهذه التنمية للحياة، وهو حكم على القيمة الجمالية والقيمة الاجتماعية للأدب، وهو دعوة متصلة للمزيد من النضج الفني، ومزيد من التمرس بالحياة، والمشاركة في تطوير الحياة وتجديدها، إنه ليس رصدا وليس تسجيلا، وإنما هو حكم وتقييم ودعوة لا ينفصل فيها الجانب الفني عن الجانب الاجتماعي، عن الجانب الفكري، وهذا هو ما أراه وظيفة للنقد الأدبي، وبهذا لا أقف عند حدود الحكم الجمالي ولا التفسير الاجتماعي، وإنما أواصل السير لتحديد الموقف من الواقع الاجتماعي نفسه. هذه هي المسيرة النقدية المتكاملة، إنها غير منفصلة عن مسيرة الأدب والحياة معا، في تفاعلها وترافدهما، تأثير الحياة في الأدب وتأثير الأدب في الحياة، بهذا يكون النقد حكما جماليا وحكما اجتماعيا إنسانيا وموقفا حيا كذلك"¹.

وفي العلاقة بين الفن والواقع، يرى أن الكاتب عندما يكتب عن الحياة لا يمكنه أن يقدم صورة مفصلة للحياة بكل عناصرها وأحداثها الجارية. إنه يكتب عن الحياة بأن يختار منها قطاعا، وليس معنى القطاع إقامة حائط بين الحادث المختار والأحداث المرتبطة به، لأن هذا لن يكون قطاعا من الواقع، بل تجزئة للواقع، وتمزيقا له إلى أقسام وأصناف وخانات ميتة. والقطاع في رأي محمود أمين العالم صورة مستعرضة مهمتها أن تكشف العلاقات المتشابكة بين الأشياء والناس.

¹ - فؤاد مرعي. "محمود أمين العالم.. رائد المدرسة الواقعية في النقد الأدبي".

فلو أخذنا مثلا مستعرضا في منزل لتكشفت لنا أكثر من أسرة، وأكثر من رابطة إنسانية، وأكثر من وظيفة، والمهم أن يكشف المبدع بين عناصر قطاعه الإنسانية علاقة متشابكة، والقطاع يتابع هذه العلاقة العريضة لا في المكان... وإنما في الزمان كذلك، أي في الاتجاه. إنه لا يثبت اللحظة تثبيتا أزليا أبديا، ولكنه يكشف عن اتجاه حركتها في حدود القطاع الذي اختاره، ولهذا فإن القطاع يبرز موضع الحادث واتجاهه... ومن ثم يكشف عن حقيقته، وهذا هو الصدق الفني.

قدم أيضا **محمود أمين العالم** مفاهيم لقضايا أخرى تخص الواقعية الاشتراكية، على غرار: الحرية والالتزام، الشكل والمضمون والمحتوى الفكري في الأدب.

ويؤكد **محمود أمين العالم** أهمية الغنى الفكري في العمل الأدبي فيقول: "فما أعرف أدبا ارتفع وارتقى وخلد إلا إذا كان ثمرة من ثمرات التأمل الفلسفي، بل أكاد أقول إن أكبر الأدباء هم في الوقت نفسه فلاسفة كبار، ومفكرون كبار، ولولا ما في أدبهم من فلسفة وفكر ما بقي ولا خلد منه شيء عبر التاريخ. إن أدبهم فكرة باقية يخاطبون بها الأجيال المتعاقبة، ولست بهذا أنكر القيمة الفنية والجمالية للأدب فبغيرها لا يكون الأدب أدبا... ولو تأملنا الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي **دانتي**، أو الفردوس المفقود للشاعر الإنجليزي **ميلتون**، أو فاوست للشاعر الألماني **جوته** لاستحال علينا أن نميز في هذه الأعمال الأدبية الخالدة بين الشاعر والمفكر، ولوجدنا الشاعر والمفكر ممتزجين في هذه¹.

¹ - فؤاد مرعي. "محمود أمين العالم.. رائد المدرسة الواقعية في النقد الأدبي".

*نص تطبيقي:

يقول محمود أمين العالم « العمل الأدبي أو الفني: إنه ليس مجرد انعكاس للأحداث وتجارب خارجية أو داخلية في نفس الفنان، وهو ليس مجرد محاكاة ساذجة لها، ولكنه مع هذا تصوير لها، وتعبير عنها بطريقة جديدة مبدعة، إنه إعادة بناء الواقع الداخلي والخارجي بلغة غير لغة هذا الواقع، وعناصر منتقاة منه ولكنها ليست كل عناصره، ولا كل تفاصيله، ثم ترتيبها وتنظيمها وتشكيلها في نسق غير نسقه، وهو بهذا كذلك تصوير وتعبير عن واقع التجربة الإنسانية أبلغ من أي تسجيل أو تصوير آلي فوتوغرافي) «¹.

- حل النص موضحا كيف يرى محمود أمين العالم علاقة الأدب بالواقع في ظل منهجه الواقعي الاشتراكي؟

¹ - فؤاد مرعي. "محمود أمين العالم..رائد المدرسة الواقعية في النقد الأدبي".

المراجع المعتمدة:

*كتب:

- 1- بيلنسكي. الممارسة النقدية. تر: فؤاد مرعي ومالك صفور، ط1؛ بيروت: دار الحداثة، 1982.
- 2- بيير زيماء. النقد الاجتماعي(نحو علم اجتماع للنص الأدبي). تر: عايدة لطفي، ط1؛ القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1991.
- 3- جورج بليخانوف. الفن والتصور المادي للتاريخ. تر: جورج طرايشي، ط1؛ بيروت: دار الطليعة.
- 4- جورج لوكاتش. دراسات في الواقعية الأوربية. تر: أمير اسكندر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 5- حسن مصدق. النظرية النقدية التواصلية(يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت). ط1؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.
- 6- حسين خمري. فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية). ط1؛ الجزائر: منشورات الاختلاف، 2002.
- 7- سلامة موسى. الأدب للشعب. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1961.
- 8- شايف عكاشة. اتجاهات النقد المعاصر في مصر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.
- 9- صالح هويدي. النقد الأدبي الحديث (قضاياها ومناهجها). ليبيا: منشورات جامعة السابع من أبريل، نسخة إلكترونية: www.kotobarabia.com.
- 10- صلاح فضل. مناهج النقد المعاصر. القاهرة: دار الآفاق العربية، 1996.
- 11- صلاح فضل. منهج الواقعية في الإبداع الأدبي. القاهرة: مؤسسة مختار للنشر، 1992.
- 12- عبد المالك مرتاض. في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها). الجزائر: دار هومة، 2002.

- 13- عبد المنعم تليمة. مقدمة في نظرية الأدب. ط2؛ بيروت: دار العودة، 1979.
- 14- غوستاف لانسون. منهج البحث في تاريخ الأدب. تر: محمد مندور، منشور ضمن كتابه "النقد المنهجي عند العرب". القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- 15- فليب فان تيغيم. المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا. تر: فريد أنطونيوس، ط3؛ بيروت-باريس: منشورات عويدات، 1983.
- 16- كارلوني وفيللو. تطور النقد الأدبي في العصر الحديث. تر: جورج سعيد، بيروت: دار مكتبة الحياة.
- 17- كمال الدين عيد. أعلام ومصطلحات المسرح الأوربي. ط1؛ دار الوفاء لعنلنا الطباعة والنشر، 2006.
- 18- محمد الكتاني. الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث. ط1؛ الدار البيضاء: دار الثقافة، 1982.
- 19- محمد سويرتي. المنهج النقدي (مفهومه وأبعاده وقضاياها). المغرب: أفريقيا الشرق، 2015.
- 20- محمود أمين العالم. الثقافة والثورة. ط1؛ بيروت: دار الآداب، 1970.
- 21- مكسيم غوركي. الأم (رواية). تر: فؤاد أيوب وسهيل أيوب، ط 2؛ بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 2007.
- 22- موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، من الشكلانية إلى ما بعد البنوية. ج: 8، تح: رامن سlden، تر: أمل قارئ وآخرون، ط1؛ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2006.
- 23- نبيلة إبراهيم. فن القص في النظرية والتطبيق (سلسلة الدراسات النقدية(1)). دار قباء للنشر.
- 24- ياسين الأيوبي. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات. دار العلم للملايين.

*رسائل:

25- نعيمة بولكعيبات. سوسيولوجيا النص (تاريخ المنهج وإجراءاته). مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر - باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010-2011.

*مقالات:

26- إبراهيم صدقة. "إشكالية التفاعل بين الأداة والموضوع". مجلة معارف، علمية فكرية محكمة تصدر عن المركز الجامعي البويرة، الجزائر، العدد 1 ماي، 2006.

27- أحمد عبد الحميد مهدي. "المنهج الاجتماعي ورواده في النقد الأدبي الحديث". بحث في مادة: النقد الأدبي الحديث، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية- شاه علم -ماليزيا، شبكة الإنترنت: ahmed.mahdey@mediu.ws، 2018/09/07.

28- بودربالة الطيب وجاب الله السعيد. "الواقعية في الأدب". مجلة العلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 7 فيفري، 2005، نسخة الكترونية: www.webreview.dz.

29- حبيب بولس. "حسين مروة، مؤسس مدرسة النقد الواقعي الاشتراكي في العالم العربي". منتديات ستار تايمز، شبكة الإنترنت: www.startimes.com، 2018/09/10.

30- حسام الدين شلش. "إشكالية العلاقة بين المثقف والمجتمع: قراءة سوسيولوجية". شبكة الإنترنت: www.iraqi.dk، 2018/09/09.

31- خالد عيقون. "اجتماعية النص الأدبي" (مقاربة سوسيو-نقدية). مجلة معارف، علمية فكرية محكمة تصدر عن المركز الجامعي البويرة، الجزائر، العدد 1 ماي، 2006.

- 32- رزيقة طاووا. "الثقافة النقدية العربية المعاصرة للنقد السوسيولوجي الغربي". الملتقى الثاني، الجزائر: منشورات المركز الجامعي النقد السوسيولوجي (الخطاب النقدي الأدبي المعاصر) خنشلة، 2007.
- 33- رضوان قزمانى. "بلنسى (فيساريون غريغوريفتش)". الموسوعة العربية. شبكة الإنترنت: www.arab-ency.com، 2018/09/06.
- 34- السعيد عموري. "الإيديولوجيا/الخطاب/النص (نحو مقارنة مفاهيمية)". مجلة الأثر، علمية محكمة تصدر عن جامعة ورقلة، الجزائر، العدد 18 جوان، 2013، نسخة إلكترونية: dspace.univ-ouargla، 2018/11/16.
- 35- سميرة لخويل. "طرق الدراسة السوسيولوجية للأدب". النقد السوسيولوجي، م. م.
- 36- سيار الجميل. "مفهوم المثقف العضوي ودوره في التغيير". شبكة الإنترنت: www.sudaneseonline.com، 2018/09/09.
- 37- عبد الحميد ختالة. "سوسيولوجيا الإبداع والتلقي للمأثور الشعبي". النقد السوسيولوجي، م. م.
- 38- عبد الرحمان تبرماسين وأمال منصور. "رؤية العالم بين سلطة الماركسية وسحر النسق" (الغريب letranger "لألبيير كامو" أنموذجا). النقد السوسيولوجي، م. م.
- 39- عبد الله أبو هيف. "تطبيقات النقد السوسيولوجي في الرواية". النقد السوسيولوجي، م. م.
- 40- عمر عيلان. "الأدبي والاجتماعي" (قراءة في حقيقة العلاقة وسيورتها). النقد السوسيولوجي، م. م.
- 41- العيد جلوي. "الخلفية الماركسية للنقد السوسيولوجي العربي الحديث". النقد السوسيولوجي، م. م.
- 42- فؤاد مرعي. "محمود أمين العالم..رائد المدرسة الواقعية في النقد الأدبي". شبكة الإنترنت: jamaliya.com، 2018/09/10.

- 43- فيصل الأحمر. "سلطة السياق" (سعيد يقطن بين جيران جنيت وبيار زيما).
النقد السوسيولوجي، م. م.
- 44- محمد خرماش. "النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب" (مفاهيم وإجراءات).
النقد السوسيولوجي، م. م.
- 45- مخلوف عامر، "البعد الاجتماعي في المدرسة النقدية بالجزائر". النقد
السوسيولوجي، م. م.
- 46- مصطفى البشير قط. "عناصر الدراسة في سوسيولوجيا الأدب عند روبير
اسكاربيت". النقد السوسيولوجي، م. م.

فهرس الموضوعات:

إضاءة.....	ص 2
علاقة الأدب بالمجتمع.....	ص 6
العلاقة التناظرية بين الأدب والبيئة (جون باتيست فيكو)	ص 12
مدام دي ستايل (نصوص الأدب في علاقته بالمؤسسة الاجتماعية)	ص 16
ثلاثية تين (البيئة. العرق/الجنس. العصر/اللحظة التاريخية).....	ص 21
المنهج التاريخي عند لانسون.....	ص 26
نظرية الانعكاس عند بلخانوف.....	ص 32
الأدب والثورة	ص 37
الواقعية الاشتراكية	ص 43
بلنسكي والممارسة النقدية.....	ص 48
ألتوسير.....	ص 53
أنتونيوغرامشي، المثقف والمجتمع.....	ص 59
سلامة موسى.....	ص 65
التنظير الواقعي مع حسين مروة.....	ص 72
محمود أمين العالم.....	ص 78
المراجع المعتمدة.....	ص 85